خـبـــر عـاطـفـي

مجموعة قصصية

محمود السانوسي عبادي

الطبـعـة الأولـــــى

2021م- 1442هـ

ديـــــــوان العـــــرب

للنشر و التـوزيـــع

جمهورية مصر العربية - بورسعيد

عنـــوان الكتاب: خبر عاطفي

اســـم المـؤلف: محمود السانوسي عبادي

التصنيف الأدبي: مجموعة قصصية

رقم الإيـــداع: 2484 / 2021

الترقيـم الدولي: 4 - 76 - 6749 - 977 – 978

تـصـميـم الغلاف: م. شيماء منير

التدقيـق اللغوي: د. هبة ماردين

التنسيق الداخلي: محمد وجيـــه

رقـــم الطبـعـة: الطبعة الأولى

المديـــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقـوق الطبـع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجـوز بأي صورة إعادة النشـر الكلـي أو الجزئـي، أو نسـخه أو تصـويره أو ترجمتـه أو الاقتبـاس منـه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

خبر عاطفي

مجموعة قصصية

محمود السانوسي عبادي

2021

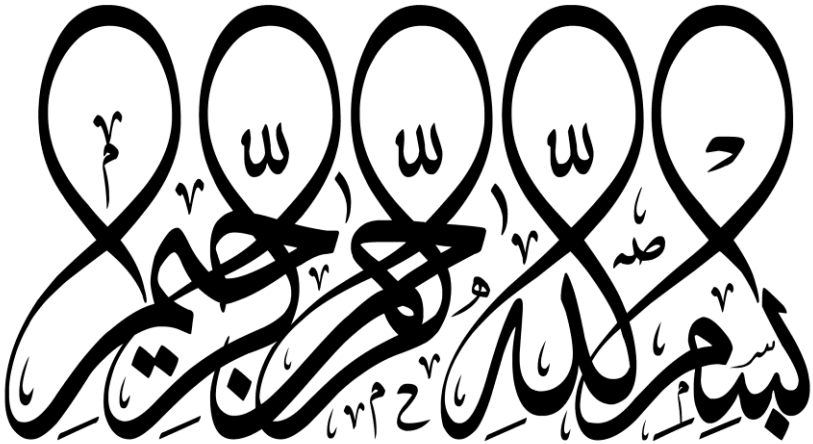
بسم الله الرحمن الرحيم

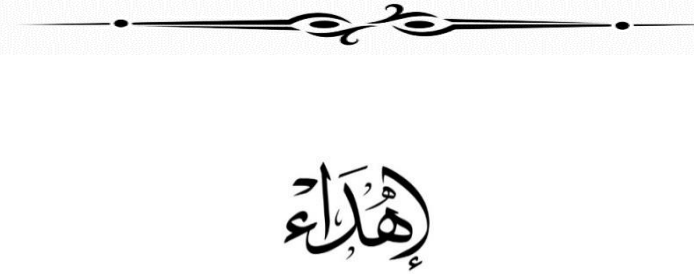

إلى أحبائي ممن غادروا الحياة

تاركين بصمتهم بقلبي

الْمُؤَلِّف،،،،،،،،،

❊❊❊❊

سعادة

بسم الله الذي جعل الجمال فيها يثير اهتمام الكل، الصغير والكبير، الطيب والشرير، الجميل والقبيح، الناضج والمراهق، الرجل والأنثى، الطيور، القطط، الكلاب، عصافير الزينة تغرد لها والأسماك الملونة ترقص في حوض الماء إن أطلت ورمت من يدها الساطعة قطع الغذاء، وإن رأوا الأطفال الأفلام تحدثوا عنها بصفتها هي أجمل من الفنانة التي مثلت دور الإثارة ببراعة ودور الحب بعذوبة وشفافية بارعة، تستحق أن تمثل، تتحرك على خشبة المسرح وإن ذهب المتنورون من أبناء المنطقة إلى معارض الفن التشكيلي أقنعوا الرسام إنها أحق من كل التابلوهات لن يبذل الواحد منهم أي مجهود في اكتشاف مكنون الجمال الداخلي يكفي أن يكرر ما خلق الله ظاهراً وهذا الفن بحذافيره.

لم تنافس التجار من أجل أن تشتري منهم الميكاب، لكن أبداً لن يرضى جمهورها فهي أجمل دائماً من كل المحسنات وهذا ما جعلها تزهد فيما عند التجار، سمتها أمها باسم وأبيها باسم وجدها عن أبيها باسم وجدتها عن أبيها باسم وجدها عن أمها باسم وجدتها عن أمها باسم وخالها باسم وعمها باسم وخالتها باسم وعمتها باسم وإخوتها باسم هذا من فرط تعلقهم بجمالها

قالوا تلك لا يجوز أن تكون اسماً واحداً هي أسماء وأسماء وألقاب وصفات وسمات وأدعية وأشواق وأحوال وأعمال وأقدار حتى حاولوا أن يطلقوا عليها اسماً يحمل كل ما يمكن أن يعبر عن سماتها مجتمعة فقال الماهر في التعبير ابن المؤرخ زين الدين هي سعادة وهي بنت السعادة وأم السعادة وأخت السعادة فهي حاضر وماضٍ ومستقبل وهي إرث الجمال، لكنها من طين والشيطان من نار وإن لم يكن الشيطان قادراً على أن يحدثها وأن ينافسها بفتنته وحسنه وقوامه حيث لا يمكن الظهور في الأرض الطهور، فليس له إلا أعوانه ممن ساهم بشراسته ممن حثهم بكبره وجحوده وممن هزهم برقصه ونفوره فهل هو أدهم ابن الفران الذي ادخر حتى اشترى الفرن من غش الميزان من بيع دقيق التموين للأهالي خارج الفرن خارج التسعيرة، ومن هذا المال كبر أدهم وكبرت غيرته على هروب مكتسبات أبيه تأتي فتاة مائعة مثل الماء الآسن وتسلب القلوب وتلهم العقول بسحرها لا يجوز هذا وهو ابن العز وابن الحقد هذا ليس إلا واحداً والثاني سليم ابن الجزار الذي امتلك من بعد موت أبيه مجزرة ومطعماً ومزرعة عجول وراءها في الخفاء مزرعة حمير ومزرعة كلاب بلدي لزوم تلبية احتياجات الأهالي وعقود التوريد للسجون للمطاعم للمستشفيات للملاجئ للـ ..للـ ..وهكذا كل شيء يسير بالـ وبغير ذلك كان أمره مفضوحاً وكما أن ابن الفران له اسم واحد أدهم فكذلك ابن الجزار له اسم واحد شريف كما أن ابن الطبيب اسمه صالح كما أن ابن مهندس التشييد والبناء اسمه أمين

كما أن ابن المعلم اسمه نور كما أن ابن التاجر اسمه عادل ولأنها أنسية يقولون عليها حورية ولو كانت جنية لقالوا عليها سحرية أيتها الملاك الجامع مثل مهر سارح ينثر الجمال يميناً ويساراً لا تغمضي عينيك حتى لا نرى قبحنا، تنهد الفنان الذي رسمها على جدران المدارس تصحرت ذاكرة المؤرخ الذي دون أسطورتها على ورق البردي وعلى جلود الماعز وعلى أشجار التوت حفر اسمها ورسم عينها وطبع قبلتها كقدم تمشي في وحل وهي تشع نور فيقول الرأي ما أشق الخطوة ما أرق المشية ما أعز البصمة آه منك يا فتنة الفتن ويا بنت السعادة ويا أم الخير ويا يسيرة الدلال لا عجز لا تضاؤل لكن لأنها شمس لا تُضائِل لكن لأنها شمس ووحدها تعبر بأشعتها قال الأعداء ورثة الدنيا ونار الجفاء هي إنسية ونحن مسنودين بشيطان رجيم عمر آلاف السنين ولم يمت بعد ولن تمت فكرته ما دامت الأرض أرض والشمس شمس والدموع جنين قال آدم أسلبها بضوئي ما ينضج الخبز تمنعت بنت السعادة يوماً لكن الجوع خان والليل بان ففقدت شمس الصيف وهي فاتنة لا تزال قادرة وقال شريف أمنحها بعض شراستي وهي منحولة الريش لا تطير فقالت عوضاً عما ضاع فخدعت البنية الوردية فصارت محرومة من شمس الربيع واتحد صالح ونفذ أمين وزيف نور وزين عادل حتى استوت وشابت لا تشرق فصولها الأربعة بنت السعادة ست الحسن ومنبع الجمال الخلاق البهي الباهظ طُفِئت ضمرت خرست خسفت بسم الله الذي منحنا إياها والآن بلاها أحكي كثيراً عنها

تصمت لا تتناسى كفى.. كفى تعود تبذخ ها هي بسم الله الذي أحياها أنشأها من الأرض نباتاً ورداً وصباراً نسبح بأسمائك الستين عودي.. عودي يا فتنة الأمس والحاضر والمستقبل عودي.. عودي ..

****

لمياء

كل هذا الخوف ويحبني! لو كان يحبني لكان أكثر جرأة

يحبك يا لمياء – يحبك

آه – أشعر أنني ملكة على مملكة لا بشر بها، لو تكلم – يكفي أن يتقرب إليّ كما تتقرب الفراشة إلى الزهرة، سأصير فواحة بالهمس سأفضح خجله سيتكلم، صدقيني يكفي أن يقترب ليحترف الكلمات التي تقال في أول لقاء، سيكون معصوراً من الوله ومنساباً كفجوة نورانية اخترقت حجرة مظلمة، يملؤني! آه لو أشرق على ملامح عشقه، نفوذه يسكنني، أتكلم كأنني منشورة على صفحة ماء، أتموج دهشة، أتكرر إرادة، لكن كيف يحدث هذا، لا يملك هذا الشاب إلا العين التي تجعلني مصابة بدوار البحر كلما تلصصت إلى قبوهما، أرى نفسي شجرة تهزها عاصفة عينيه فأصبح أكثر رقة ونعومة، وبعد ذلك هل ستحتملين الحب الذي يقف منتصباً دون حراك ربما لو لم تكوني نشرتِ الخبر وقصصت على كل صديقاتك حبه العنيف حتى أنك لم تستحي بكل فخر وكبرياء أن تذكري أن هذا الشاب يتآكل حباً لك، هذا ما وصل إلى والدتك وعمك وأبيك وأخيك ماندو فهل بعد أن أصبح الشاب حديث المدينة يمكنه أن يجرؤ على اتخاذ أي خطوة تجاه عاطفته، صدقيني لقد تصرعت وما كان من المستحب فضح مشاعر

الفتى بكل تلك المكاشفات المجانية، نظرت لمياء إلى صديقتها محاولة التبرير فكل ما حدث كان من بهجتها وكان من جراء ما تلقاه من خجل مبالغ فيه وكان مبلغ ظنها أن يشعر حامد بأنه مرغوب فيه وأن ما يهابه صار يعرفه الجميع، أعلم أنه أنهى دراسته الجامعية وهو الآن يعمل في مشروعه الخاص ببقالة وغلال فما المانع ما دام شاباً جيداً أن يتقدم لخطبتي ظننت ذلك سهلاً لا أعرف لما هو هكذا لا يثق في نفسه ولا في إمكانياته شاب جيد أؤكد لك يا يسرية أنني كنت سأشجع والدي على قبوله حتى ولو لم يكن لديه إمكانيات الزواج سأنتظره السنوات أبي من الممكن أن يساعده قالها لي صراحة وأنا أشرح له نظرات الفتى وطريقته في الارتباك كلما مررت عائدة من المدرسة الفنية بصحبة زميلاتي كيف يحمر وجهه خجلاً كيف يتشبث كالغريق ويفقد وزنه كأنه يطير من على الأرض ويختفي في صمته وحيائه بين بضاعته يشغل أصابعه بالعبث في حبات الفاصوليا الجافة أو الأرز ويتنقل من قفة إلى أخرى حتى ينتهي المشهد بعبوري كأني أنا ملكة وهو جمهور يودعني في تشريفة ولاء وانتماء ومحبة، آه يا أبي – عودتني على الصراحة أنا مبهورة بهذا الإحساس فماذا أفعل؟

قلت له ذلك؟ طبعاً! – أبي سائق في شركة سياحية ورأى وتعلم الكثير؛ متحضر بما فيه الكفاية ليستوعب أن ما أشعره ليس مخجلاً وأن هذا الفتى مقبل على أزمة عاطفية لو لم يتدخل بحكمة الأب، يسرية – أنا لا أبحث عن عريس فأنت تعلمين أن من تقدم لي يعتبر بمثابة فرصة لبنات كثيرات

وليس واحدا فقط بل خمسة شباب مؤهلين ومن عائلة ويمتلكون المال والمنصب رغم أنني ما زلت في الصف الثاني الثانوي من التعليم الفني، آه صدقت قالتها يسرية وهي تتأمل قوام لمياء الطويل وسمار بشرتها وجاذبية كل تفصيلة كأنما خلقت لتفتن الشباب بينما هي لم يكن لها نصيب من الجمال إلا القليل لكن هذا لا يمنع أن تتألم لصاحبتها ما دامت تكرث مشاعرها لهذا الحب العظيم، لم يكن أمام لمياء إلا أن تحرض هذا الفتى على الإفصاح عن مشاعره بعدما رأته يفتعل التجاهل في أول أيام العام الدراسي وهي عائدة لتري زميلاتها ذلك الولهان وهو يتموج من العاطفة التي ذوبت أعصابه فإذ به يصدمها ولم يعد يخرج من المحل ليتابعها وهي تتمخطر إلى أن تنعطف مع دخولها للشارع التالي، هكذا قررت أن تعاقبه أو تختبر مشاعره في حالة من الغضب والإنكار ربما يسقط في تلك المرة وتنساه للأبد أو يستجمع شجاعته فيقترب ويعترف بهذا الإصرار العاطفي المتوهج، إن الأيام كفيلة بإثبات كل شيء وعلى يسرية أن تقوم بدورها تتابع في كل يوم تمر به من الشارع ترتدي الزي الكحلي ذاهبة وعائدة من المدرسة انفعاله ونظراته المتفحصة المشتاقة لربما تكون أخطأت أو حنت وقررت أن تمر من الشارع بين صديقاتها لكن إصرار لمياء على المرور بشارع غير الشارع الذي يرابط فيه العاشق منتظراً في محبة عنيفة وعنيدة مرورها هي لا تمر وهو لا يتكلم يتآكل فقط، هذا ما قالته يسرية بينما عينها ترقب وجهه المتداعي من العشق والشوق، رافعة صوتها ليسمعها

لربما يعالج نفسه بنفسه، فقد رأت وأحست قسوة صاحبتها على هذا الشاب الطيب فزعقت معترضة معبرة عن استنكارها لهذا الإجراء اللاإنساني، "منك لله يا لمياء "فضحكت الفتيات العالمات بالقصة من أولها حتى قرار الحرمان من الرؤية اليومية، اللقاء العابر الذي لا يتجاوز الدقيقتين يبتهج ابتهاج العيد ويفرح كأنما ولدت السعادة لمدة دقيقتان ثم يتجلط ككتلة وقت منتظراً الغد على ألا يكون غد هو يوم الجمعة إجازة دراسية إلا أنها في أيام كثيرة لم تكن لتحرمه من رؤيتها حتى في تلك الأيام التي لا دراسة بها فتمرق من أمامه بصحبة أمها أو زوجة عمها أو أخيها مشتركين جميعاً في التلفت إليه والضحك من حبه المثالي ونظراته الولهانة ثم لا يزال مبتهجاً حتى تنتهي سطوة حضورها من أمامه، كيف يا لمياء يقسو قلبك حتى تدمري هذا الشاب؟ ماذا؟ ألا تعلمين ماذا فعل؟ ماذا؟ انهار تماماً؛ ترك المحل لأخيه الأصغر واعتكف في المنزل لا يخرج ولا يدخل، سمعت من شباب المنطقة أن شجاراً نشب بينه وبين أهله على تكاليف إضافية لتحسين المحل أظن أن هذا الخلاف مفتعلاً ليجدها حجة فيترك المحل، إنه في حالة انهيار عاطفي هذا ما شعرته في المرات الأخيرة التي تابعته فيها كان بمثابة إنسان يموت بالبطيء، قامت لمياء وتحركت في الغرفة تفكر وتتذكر توقفها المفاجئ أمام منزله بينما أهله يحتفلون بزفاف أخيه الأكبر شعرت بأنه آن الأوان لتعبر لأهله بأحقيته في التقدم لخطبة محبوبته كنت واقفة أتخيله موجوداً إلا أنني رأيت الكثير من

أهله إلا هو لم يكن موجوداً إلا أن الصدف قدمت لي لحظة حلم ساطعة وفاتنة فإذا به عائداً على دراجة يلهث فوقها، لا أعلم من أين؟ هل هو يعمل في مكان ما ويعود متأخراً آخر الليل هكذا كانت لحظة اللقاء كأنما هو لوح ثلجي وذاب فوق الدراجة ثم سقط مسرعاً لا أعلم هل هو الذي يمنع الدراجة من السقوط على الأرض أم هي التي يتكئ عليها كالعكاز ومشى خطوة وراء خطوة حتى أسند الدراجة على أحد أعمدة الفراشة وتداعى فوق الدكة الخشبية المتراصة مثل إخوتها من الدكك الخشبية لزوم ليلة حناء أخيه كنت ساعتها أتوقف محاولة أن أريه اهتمامي ولهفتي تكلم يا أقرب البشر إلى مشاعري أيها المسكين الحنون ماذا تفعل بنفسك ثم لم يكن أمامي إلا أن أتابع السير حيث عودتي من منزل عمي إلى منزلنا الجديد بمنطقة أخرى، وهذا ما حدث من جملة أحداث أخرى رأيته فيها يختبئ مرتبكاً خلف صور سطوح منزله في محاولة لاستعادة لحظة الرؤية التي تشبع عاطفته بينما الشمس تلفح وجهه.. ينز العرق وكأنما هي دموع ودماء أحسست بأن عليّ أن أزعق وفعلاً زعقت: أهو.. فرفعن رفيقاتي وجوههن إلى أعلى لكن لم يجدن أحد، وظنوا بي أنني أصبحت أتخيله فضحكن ومنهن أنت يا يسرية كأنما تتلذذين بعذابي ماذا بيدي يا يسرية؟ لقد ارتديت الحجاب يا يسرية فترة ربما تدينه يمنعه من مصارحة أهله أن من عليها العين متبرجة ترتدي البنطال الجينز الضيق والبلوزة المجسمة هكذا فكرت وقتها لكن لا فائدة حاولت، دليني يا يسرية ماذا أفعل؟

عودي للمرور من الشارع حتى يطمئن إلى أنه لن يفتقدك
لكن مرور لمياء لم يعد العاشق إلى المحل حتى أنها بكت أمام والدها نادمة تريد منه أن يفعل شيء، لكن يا بنتي...
ماما: نظرت الأم لابنتها لمياء ونظرت مباشرة إلى الأب حتى استقر الرأي على أن يحاول لربما يكون في الإمكان نجدة هذا العاشق من الكآبة القاتلة حتى إنه جمع عنه المعلومات الكافية ولم يكتفِ حتى وصل إلى بيته وطرق الباب فتحت والدته سألها عن حامد برر سؤاله بأنه اشترى منه بضائع وأراد أن يرد مبالغها له تحديداً إن لم تكن قد اقتنعت بما قاله الرجل لكنها لم تمانع وأبلغت ابنها حامد حتى خرج حاملاً وجهاً مرتبكاً ولحظة إشراق بعدما تأمل ما ورثته لمياء من هذا الأب فوجد ملامحَ مشتركة، وهدوءٌ ما تسلل إلى أعصابه فصار هادئاً مثله، كلمه في أنه يفتقد معاملته الكريمة ونظرته البشوشة، وأنّ أخاه.. ولا أي أحد يمكن أن يسد مكانه في المحل وأنه كلما اشترى من المحل يسأل عن سبب ابتعاده، هل نحن أغضبناك يا جميل القلب، لا أبداً.. رد حامد بارتباك ولم يعطِ الفرصة للرجل للاسترسال بل كان في حالة من الضمور النفسي التي لم تمكن الرجل من الإفصاح عن شيء يصعب إيصاله إلا إذا كان حامد مستعدًا له، فما كان من الرجل إلا أن انصرف متخاذلاً محرجاً من موقف حامد وكنت بين الحين والحين أحاول أن أتابع تلك القصة العاطفية التي نمت في بيتنا لكن انصراف أختي إلى تجارب أخرى وما عكفت على ردمه السنين الطوال حتى

رأيت وأنا أرافق أبي حامد بعد أن تزوج يحمل طفلة لا يزيد عمرها عن أشهر قليلة يقبلها كثيراً ويسألها عن حبها له.. تحبينني يا لمياء ثم يرد على ضحكتها أحبك يا لمياء.

****

لمس

أنتما صديقتاي.. أبوح لكما بهواجسي.. ساعديني يا أمنية.. فأنت عقلانية.. ولك من الحكمة ما ترجح إحدى كفتي اختياري.. هل أختار ياسر أم ربيع.. ياسر يحبني.. ربيع يعشقني.. وأنا لا أعرف تحديداً إن كنت سأستقر مثل فراشة ناعمة على أي زهرة.. أيهما يا سمية.. أنا حائرة جداً اثنان في غاية الوسامة.. كل ما يمكن أن يمثل عامل جذب موجود بكل واحد منهما الثراء الدخل الثابت الأصل الطيب الحسب والنسب والمحبة التي أراها في كل تصرفاتهما وأنا مشتاقة لحضن أحدهما لا أحسن الاختيار إلا إن ساعدني قلبك الحساس هواجسك التي هي أكثر مني حدة وكشفاً تكلمي يا سمية فإن لم يدلني قلبك الرقيق الصادق من يرشدني لن أفسد إن اتبعت مجسات أحاسيسك وهي ترمي داخلي اليقين تبتر تلك الهواجس التي تسيطر على أعصابي وتخلع عني عباءة الهدوء والسكينة طمئنيني يا أمينة يا ذات العقل الراجح.

هذا للأسف خطابي رجائي وتوسلي الدائم لأعز صديقتين على قلبي ليس لي غيرهما أسرف في حبهما أتجلى أمامهما حتى تتعرى تفاصيل روحي كأنما أنا في حضرة وفضاء تطهر كأنما هما عين وجهاز أشعة يصلان سوياً بالكشف عن موطن علتي تُرى ما الذي قدمته العين تلك التي رأت سوْءَتي فأخرجتها

مثل ثمرة محرمة أكلت منها حتى خرجت من جنة الرضا فبانت سوءتها هل ينفع الندم.

أبداً يا سمية كما أنه أبداً يا أمنية.. يا من رأيتك مثل جهاز الأشعة ترى ماذا يمكن أن يقدم هذا الكشف الفيزيائي لقد درست كل تفاصيل مشاعري وأفكاري وهواجسي لقد تأكدت أنني لن أكون جديرة بأيهما أو ربما قررتي أن تقطفي إحدى ثمرتي رجل لي ورجل لك هكذا فكر عقلك الراجح.

أشك في أحداث كثيرة حدثت قذفتني بأول حجر أخرستِ هواجسي فصرت بكماء الهواجس لا أفكر في احتمال ثانٍ لأي حدث لأي موقف يتطلب التفكير هكذا بدلت خيانتك القاسية الفاجرة عقل إنسانة ليس لها ذنب غير أنها ظنت في كلماتك الشفاء في وجهة نظرك الثناء هذا الذي تذهب إليه الطيور المستيقظة حيث تلهث من أجل حواصلها الفارغة إن كنت أريد أن يستبدل عقلك خواء عقلي الدود الذي يأكل وقتي ويكبل إرادة اختياري.

كل هذا من أجل رجل.. رجل واحد لا يزيد عن كونه ثقلاً للتأرجح هذا الذي يشعرني أنني مركز الرؤيا حصيلة اللعبة المؤنسة الباهظة مخدرة الأعصاب لقد سلبت من جعل رجلي الثاني لا قيمة له.. دمية بلا رأس.. ماذا أفعل برجل لا عقل به.. ماذا أفعل بلعبة لا يمكنها التحدث معي.. لعبة

ميتة وهي في الأصل منحتها خيالي وتوسلي وتوددي لكي تصير حية فكيف سمحتِ لهذا الشقاء أن يدخل وقتي.

أنت أيضاً يا سمية قلت أن ربيع عاطفي أكثر مما ينبغي لا حاجة لك بهذا الإسراف اللامجدي.. روحك في حاجة إلى هدنة هارب كفاك وثبات ونكبات لا ينبغي لمثلك من الجماد والعذوبة.. أختي وصديقتي أنت يا لميس.. هذا ما ادخرته مشاعرك الماكرة كيف تمكنت من إدهاشي إلى الحد الذي تبرعت فيه بآخر أمل. إمكانية إصلاح البندول التالف أو المسروق بواسطة صاحبتك أمنية لقد كرهت اللعبة وبكل قسوة وغضب وموت الملل لقد اتهمتك يا ربيع ووبختك حتى أفقدتك السعادة التي يطرحها وجهك البشوش وقلت مستنكراً متوسلاً لم كل تلك العدوانية تتهميني من أجل مشاهد مبتورة كل ما قلته يدل على تجارب أحتاج إلى دعمك النفسي وأنت يا لميس مجالي العاطفي لحظة اشتياقي وأرضي التي يستقر عليها الوجد والرجاء.. وتحبو أجنحتي السامقة طلباً لمحبتك فلا تهجري براحي وتحبسي أملي في ضيق النسيان.. تجاهلي المواقف التي لا تروق لصفائك.. أنا أحبك حياة وموتاً ولا أمعن في الأمل إلا إذا رأيتك ولا أفكر في السباحة إلا وأنا ملتهب الأشواق بعيداً عنك بعد الحياة من الموت.. وقريباً من استعطاف العزلة كما تستعطف الصحراء السحابة انزلي اسقطي اروي متاعبي التي تحجرت حتى صارت نكاتي مثل الملح كل الأيام كالحة.

قولي يا سمية ما الذي يجعل عاشقاً مثل هذا ينفر من لقائي يتعذب أمامي من حرج مكبوت تقول ملامحه متى ينتهي الوقت دون أن ينتهي العمر ثم يطير كعصفور زقزق بين أصابعي ثم ألقيته كحجر فأخذ المدى في جناحيه واختفى.. حتى رأيتك كنت يداً وكان يداً كنت عيناً وكان عيناً كنت شفة سفلية وهو شفة علوية وكان لا يريد أن يرى كان لا يمكنه أن يراني.. حاجز ما.. لكن فقد ذاكرته.. قولي هل نزعت ماضيه أو نزعت قلبه.. آه يا خائنة.

ما الذي يتداعى من الذاكرة مبررات لا حسر لها إنها من نسل هواجس رجلي الأول ياسر ذو العقل المربك وعيه وظنونه التي لا حصر لها أفكاره المتداخلة أحلامه المتشابكة طموحه لقد كان يفكر في أعداء له أعداء كثيرون في يوم من الأيام ستطردني من حياتك قلت له ذلك فأنكر رغم ارتباكه الذي رأيته يخرج ثعباناً وحمامة من عينيه وشفتيه إنكار مؤقت بدا لي إنه صادق صدقت كبريائي ليس هناك رجل يمكن أن يهرب من مملكتي هكذا تصورت كل رجل.. هكذا تأملت جمالي وجاذبيتي وبسطت نفوذي حتى على نفسي على عقلي وقلبي خسرت.. نعم خسرتك يا ياسر.. هي قالت لك شيئاً لو كان بإمكاني أن أقاوم جراحي لوقفت أمامك لا لأستنكر زوال محبتك لأسمع إقرارك من أخذت مني سطوتي ودمرت مملكتي أنا عشيقتك الأولى كلك الذي كنت تعيشه أمامي حتى كنت تحقق أحلامك كلما اصطدت ابتسامة مؤيدة لحلمك هذا كان دمار إرادة حريق بصيرة

ليس حباً أبداً مطلقاً تتركني فجأة بلا مقدمات لقد تأملت نفسي ألف مرة في دقيقة واحدة جمعت المرايا المقعرة والمحدبة وجلبت صفحة الماء وحدثت وجهي المتحرك عبثاً ما الذي تغير ما زلت أجمل أروع سطوعاً.. ذهب إليها لما لا تمتلك عقلاً مثله؟ أما أنا فعقلي نشوته وفؤادي جواده يسابق نفسه قبل البشر والبشر قبل الجان وقبل الوجود والخلود وقبل الموت والسكون كيف اكتفى بنفسه ووضع صباحه ومساءه في تلك الدمية البشرية أحبها لما؟ وكيف استطاع أن يتذكر أنّ وقته الذي اعدمته الحيرة تلك حيرته معي وحيلتي معه.. يأس أصابه ربما خذلان إنهاك استسهال بعد أن وصمته بعار الثقة العرجاء وقهقهت قهقهة الغزاة وناديته في حلمي ويقظتي يا خاسر يا مستسلم يا واهن يا.. يا.. أحبك الآن تأكدت أنني أحبك تأكدت أنك أنسب لي.

كل الخسائر التي أصابتك مذ عرفتني لا تعني أنني شؤم.. هل هكذا يرى المحبون أحبتهم؟ هل نجحت أمنية في محو إرادتك.. حكم قلبك يا رجل! كفى بلاهة! ليس حبي له إلا انتقاماً من كبريائي.. لكن لو رجع الاثنان مؤكد أحتاج إلى فرصة.. إلى متابعة تأرجح الكفتين وأنا رمانة الميزان.. ياسر.. ربيع.. ياسر.. ربيع.. ربيع.. ربيع.. ياسر.. ياسر.. ياسر.. إن لم أنهي تلك الحواجز لن أستقر على حال.. لا يمكنني أن أكون قاتلة.. صدقوني.. ما حدث ليس لي شأن به.. أنا أفكر بأحزاني. خسائري.. إن موت أعز صديقتين لا يعني أنني أنا قتلت انتقاماً أمينة.. سمية.. أمينة.. أمينة..

أمينة.. سمية.. سمية. آه يا سمية.. ثم ما الذي سأستفيده ما دام الفناء أصاب أيضاً ربيع وياسر.. ربيع وياسر.. لا.. لم أقتل إلا رمانة الميزان أنا وكلهم مازالوا يمرحون دوني.. قيدوني أكثر.. أريد إلا أراها.. لمس تحاصرني.. هي التي قتلتها هي التي تطاردني.. وحدها.. ووحدي..

****

تنهيدة على مخدة

اسمها تنهيدة لأنني كلما أقابلها تتنهد..كلما أقول جملة أخفي جملاً كثيرة.. تنتظرني بشوق شاهق فأرى بصرها يغطيني يحتوي حركتي يحتمل أرقي وتوتري فأفشل أن أفهم وتعجز أن تعرف إلا أنا صارت كما أسميتها تنهيدة عابرة تأتي لي بذكرى وأفواه تخرج الزفير الحاني ترث في أنفاسها الحروف فتخرج مثل كوب من الصباح انسكب في قبر.. أنا قبر.. قبر يحب تنهيدة.. لو كنت أمتلك شهيقاً لتزوجتك.. لو كان بإمكاني أن أستنشق تنهيدتك العابرة أختزنك تماماً داخلي صمت.. وحدتي.. سكوني.. لكن أنت تعرفين أن اسمي قبر. يمشي على الأرض.. يأكل من نبات الأرض يطير كما يطير الطير إلى بلد غير بلد كان فيها أمس غير بلد ذهب إليها أمس غير بلد عشقها أمس تعرفين عشقي لك يا تنهيدة أرادت حبي وحبي لم يرد إلا أن تكون زفيراً حائراً يتنهد حتى يكشف غطائي يهلك عزلتي الخرساء عل كنت تعرفين إنني سأكون هكذا خائنا وإلى حد لا يمكن أن تصدقه تنهيدة مثلك هذا الإخلاص المتخيل تلك العقيدة المسكونة بكلمة لن يقدر على إخراجها أبداً فأنا قبر وأنت تنهيدة عليك أن تتحملي كآبتي خرابي العامر بسجون هموم اضمحلال إفلاس من حياة من قدرة من عزة أنا زاهد في محبتي وأنت وحشة ساطعة أطلت على هذا القبر أقول يا مجربة الألم قولي

ماذا بعد التنهد البكاء الصراخ التشنج السقوط على الأرض حتى يتغير جسدك أم التخلي عن الحنين اللامبالاة تخرج لسانها البلادة أي مشاعر تكنينها لهذا القبر لهذا الأنا ورغم أنني كنت أحبك أعلم كأنما أنا قطعة حياة أتذكر كنت أحبك أقول عن الظل الذي كرهت رؤيته كان يحبك.. والله لم أكن إلا إنساناً اسمه مثل أسامي البشر وكانت إطلالتك مثل رشقة أجنحة هربت من أعشاش أشجارها إلى صباح وزقزقة وغردت ففقست رقة تطير إلى قلب ليدق بعزم ومحبة ورشاقة بدت هي التي لن تكون إلا جسداً مستثنى، جسد يثير في أدغال الحنين لو ذهب مسها أفقد هاجسي ثم أفقد حسي ثم لا أنا حياة ولا أنا موت.

أنت وعد تقدمي بكلامك كله لا تتركي مثقال ذرة قولي إن ما سمعتِه لا تكترث له الشفاه ومضت مرتبكة من نبضة الحب.

سأتكلم يا تنهيدة ستسمعين لأول مرة يا وعد

فليس بعد الانتحار قسوة أنا فقدت وسأفقد باقي حدثي بمجرد أن أفصح عن تلك الغبطة التي تحولت بعدها إلى مخدة فيما يبدو أن سيطرة أمنية يجعلها تتحقق بشكل أو بآخر وقد تحققت أمنيتي وسرت مخدة وليس هناك فارق في القيمة بين المخدة والقبر ولكن هناك فارق يعذبني يحرقني حرقاً ويجمع رمادي المحترق فيهدد كوناً له بريق السواد وأنين السواد وحنين السواد وغنيمة السواد حيث لازلت أرى أن هناك فارقاً شاسعاً بين التنهيدة ووعد فوعد التي قد تتنهد وقد لا تتنهد قد تضحك وتبكي وتزغرد وتحلم..

تشرد.. تطير مثل سواد شعرها وسواد النني الذي في مقلة عينها وسواد ليلها عندما تغمض عينها.

هي وعد التي أرادتني مخدة فصرت فهل احتضنتني مثلما تحتضن مخدتها مثلما قالت لي تضعها بين ذراعيها تضغط بأصابع متشبسة حتى تتقعر جناحا المخدة تنكمش على مركزها وتدور حول نفسها حول تنهيدة تنتظر انطلاقها لكن لم يكن باستطاعة وعد أن تسير تنهيدة وإن استطعت أن أصير مخدة لم تعد إلا أنثى ملتهبة المشاعر مارست كل نشاطها الحسي وأوجدت عليّ دموعاً وآثار قبلات وكلمات من بينها احضنيني أكثر يا مخدتي العاجزة كنت أريد لحظتها أن أتكلم أنا الذي لا أريد أن أكون قبراً ولكن تحولت مخدة لكي أشعر بما يجب أن أشعر به الآن لكن ليس باستطاعة الشيء الجماد أن يشعر كنت تضغطين بنهديك البارزين مثل فصيلة من النبات تروي وتطعم وتظل وتدفئ فأي إمكانية لجسدي الذي صار شيئاً من القطن تكويه الرغبة الضاغطة فأموت أكثر وأتشيأ أكثر كنت لا أستطيع أن أعود ولا أريد أن أعود صرت قبراً أمشي مسلوب البدن إن أرادت الروح شيئاً مسلوب الروح إن أراد البدن شيئاً.. لو كنت صبرت.. لو كنت تمرنت على الإفلات من تلك الغيرة.. أن أمتلك التنهيدة كلها ووحدي ودون أن أطلع عليها ذئاباً أو غنماً.. لو تركت الحسد الأسود لن يسخطني السحر الأسود مخدة ثم قبراً.. لا يستطيع الفكاك من النداء

الأزلي تعال لي بأي صورة كنتِ تنهيدة.. أنثى.. كلمة.. قبلة.. سخرية.. أو استثناء.

ياه يا وعد.. ياه يا حب عرفته وعرفني ثم صافحته وأنا قبر فكلمني وهو تنهيدة فزاد الحب طعماً فأردت احتضان كيانه.. جناته التي هي أولي وآخري فما إن أردت حتى عجزت حتى دبرت حيلة.. حيرتي حيلتي.. فصرت مخدة.. هي التي تنضغط على الجسد اليافع الناعم البض الدافئ الوثني من تفرده وتكبره وتشبعه بذاته بجسه بكينونته فكيف للاستثناء الكناية المجاز أن يمتع الأصل الحي النابض وكنت وظلت وعد التي هي أنثى وحياة كاملة تشتكي ويأتون لها بالمشعوذين بالأطباء بالروحانيين مخداتها كلما تضغط عليها تتفتح رماداً وكنت أنا الذي كلما يدفنون قطعة من روحي يعود جسدي في صورة مخدة ويحترق... ويختزن... ويخترق...

****

قياس عاطفي

في هذا اليوم تخلصت من آخر مراحل الطفولة.. أصبحت حقاً رجلاً بعدما استطعت أن أقنع أول فتاة مراهقة بإعجابي الشديد بها.. ورغم أن ملابسها رثة.. ورائحتها معرقة.. فهي راعية أغنام.. تمر كثيراً من أمام السوبر ماركت بأغنامها.. لا تقطن بالمنطقة التي يقطنها فئات من الطبقة الوسطى.. غير أنها من الحضيض.. تمر إلى حيث تسكن في المناطق العشوائية المجاورة.. لكن تلك هي الكلمات التي أغريت بها مشاعرها أنت جميلة. لكن أنت جذابة.. أنت.. أنت.. حتى إن رد فعلها الشرس الذي كاد يهزمني فأنصرف عن إطلاق ألفاظي المخدرة لأعصاب الفتاة ذات ال **14** عاماً.. لكن لم يكن بداخلي أي قناعة تذكر.. ولم يكن بإمكاني أن أستمر في الإعجاب الوهمي. فهي تجربة.. مجرد محاولة للتأكد من كفاءتي.. فأنا لم أستطع من قبل أن ألاحق فتاة وأحدثها عن الحب والأحاسيس.. ما أن أُتيحت لي الفرصة بعيداً عن مساكن العائلة فلا يمكن أن تصل الشكوى إلا إلى صاحب المحل.. والذي لم يصدق ما يقال في حقي وغالباً ما سيدافع عني حيث دائماً أقف أمامه بأدب وخجل واحترام لا أحدث أي فتاة أو ألقي نكات جنسية كما يفعل زميلي بالفترة المسائية.. لذا سيتعاطف غالباً معي لو تطورت الأزمة وقالت الفتاة المراهقة لوالدها.. ومن ثم جاء يصحب ابنته

وكلمات الشتائم بالجرائم المصوبة لشخصي كون الفتاة بداية تكوين أنثى وهي غير متهيئة لاستقبال أي تجربة عاطفية عاملتني بدهشة وفتحت عينيها باتساع لم أره إلا من فمها الذي تبادل وعيناها التعجب كأنما تريد أن تفهم لمَ؟ وقد قالت مؤكدة أنا غلبانة سيبني في حالي.. أما أنا فقد دفعتني تلك الجملة الواهنة على مضاعفة اهتمامي بملامحها السمراء وفتنتها البكر و إشراقتها.. حتى انتقلت إلى ضفائر شعرها المنفلت من طرحتها القصيرة.. وقلت كأنما أردت أن أنجح فقط.. ولو لمجرد أن أنجو من قامة الفشل التي تتراكم فوق رأسي يوماً بعد يوم.. حتى صرت من حالم بأن أكون رجل أعمال له خدم ومستخدمين وسكرتارية وزيارات وأراضٍ وعقارات.. وما أن أفقت حتى وجدت نفسي خريجاً جامعياً ينتظر مسابقة ما يكون موظفاً مؤقتاً.. غير أني كنت أحب في تلك اللحظة التي أكلم فيها الفتاة الصغيرة... حباً صادقاً راقياً غير أنه من المستحيل أن يكون لقاء.. مجرد حلم أقرأه كل ليلة.. أنتظره حين أذهب إلى النوم ويهجرني بمجرد الاستيقاظ الباكر.. إلى حيث الذهاب إلى عملي بالسوبرماركت. حتى إن الفتاة المراهقة الغلبانة جداً بعد أن فشلت في مقاومتي ولم يكن أمامها خبرة في مثل تلك الحروب الاستفزازية والانتهازية بين الأنثى والذكر، استسلمت سريعاً ووعدتني أن تفكر في أمر الحب طالما غرضي شريف كما أوضحت.. وكلي هيام. حتى كانت تتساقط من عيني دمعتين ساخنتين بالتأوهات.. ولا أعرف لمَ سكنتني تلك الطاقة الباذخة؟ وانفجرت أمام

فتاة لم ولن تكن لتلفت انتباهي فهي قصيرة صغيرة طفلة بدا عليها علامات الأنوثة غير مهتمة وغير شاعرة بأنوثتها وربما لم يستيقظ النداء الساخن داخلها فيقول لها صفقي شعرك. اغسلي ملابسك.. وجهك.. قصي أظافرك اهتمي.. انتبهي إلى مرآتك وحدثيها وقولي لها الست أنا أنثى تراها الذكور فتهيم وتنشغل وتصارح.. تزحزحت من أمامي.. يفصلها عني ثلاجة عرض الآيس كريم.. أخرجت واحدة من الثلاجة ومددتها إليها.. تفضلي لا تخافي.. ترددت لكنها بعد أن رأت نفسها في عيني المشتعلة تركيزاً على تفاصيل جسدها مدت يدها في خجل وكأنما أرادت أن تشجعني على أن أمنحها المزيد من الثقة والرعاية.. ولم تخرج قبل أن تخرج من جيبها كيس اللب وتدلق كثيراً منه فوق ثلاجة الآيس كريم.. ضاحكة.. تفضل.. لم تكن سعادتي إلا تحقيقاً لفوز مزيف فما دمت فشلت في أن أنال إعجاب حبيبتي التي هي بعيدة عني ولا يمكن أن تنتبه لي وأنا منذ سنوات لم أجرؤ على أن أكون مناسباً حتى لخروجه في المساء.. فأنا أقل منها خبرة في إجراء الحوارات العاطفية.. في بناء الاعترافات العاطفية وفي الخروج إلى أفق الدهشة بنظرةٍ يتبعها ابتسامة وكلمة يتبعها لمسة.. وملابسي التي لا تتعدى أن تكون من كلاسيكيات العقود الماضية.. لا أهتم بها.. لا أهتم بنفسي وشعري وطريقتي في الهجوم والمداخلات الشقية.. ربما هذا أشعرني بأن نجاحي به بعض الإخفاق وقررت في المرة القادمة إن تكون الفتاة مهتمة بمظهرها حتى يمكنني أن أشعر بنجاح حقيقي.. لكن ما منعني حقاً من

كل تلك التجارب.. ودفعني للتقهقر انكمش كلما تذكرت دموعاً كالجمر الحارق.. كدماء البراءة.. وأنا القاتل والقتيل.. هذا ما قالته وهي تدفع أخواتها البنات الصغيرات إلى خارج المحل.. منك لله.. أنا عملت لك إيه.. حرام عليك.. كانت تتحدث بطلاقة.. وهز كلامها أركان المحل.. حتى تساقطت علب المربى والصلصة والسمنة. وزنه **2** كيلو من فوق الأرفف.. ربما تساقطت من خبطاتي على أحد الأرفف المجاورة لي فانتقل الاهتزاز إلى أعلى.. وإلى اليمين واليسار.. وهذا لأنني لم أجد رداً مناسباً ولساني كان عاجزاً ومدفوعاً إلى حلقي حتى شنقت حتى من الهواء الذي استنشقه.. كانت أختها الأصغر ترمقني وهي تحاول أن تفهم ما الذي حدث بعد أن حكت لهم عن اعترافي لها بالحب وها هي جاءت بشهود العيان.. ليتأكدوا أنها لم تكذب.. لكن أنا الذي أتهرب من مغامرتي.. ظلت الأخت الصغرى توبخ أختها على تسرعها.. ما كان عليك أن تستسلمي وتقولي موافقة... وانصرفوا جميعاً إلا أن رائحتها في المحل هاجمتني أيام.. حتى قررت أن أتخلص من عملي مقابل هروبي من شبح الفتاة.

****

خبرٌ عاطفي

بينما الليلة صافية والنجوم متلألئة وهواء الخريف ملأ الكافتيريا غباراً فوقعت التند والمظلات، وهكذا انقلبت الأكواب وطويت بدون يد بشرية مفارش المناضد، فما كان مني إلا أن أغمضت عيني دقيقة حداداً.. على فصل الصيف؛ وعلى أهل الصيف وعلى أنس الصيف، وقلت أقبل أيها الشتاء وهل عليّ بأهلك وظنونك وأشجانك وأحلامك وقدرك وقسطك.. فما كان من الخريف إلا أن قال ستجدني أكرم الفصول وأجودها حالة وصدقاً وزهواً وطباً وطرباً.. وإن لم تكن تصدقني فانظر إلى هذا الذي يتابعك باستحياء وقد بدا في هيئة بشرية لكن ملامحه مطموسة لا أعلم لم؟! فقلت له منادياً: تعال وجالسني ما دمت أشعر بالملل ولا أحد غيرك تنظر لي وأنظر لك، فتقدم وقال أعرفك على نفسي: أنا ابن الخريف وليس من شأني أن أقول لك كيف كنت قبل أن تتطفل وتسألني.. لكن يجب أن أوضح لك أن التراب والزوابع.. والموت الذي في صوت أوراق شجر جافة.. والخلود الذي لا يموت ولا يحيا.. صنعني بين اللوم والتكريم.. بين الحب والكراهية وقال لي أنه من شأني أن أسمي نفسي ما دمت مختلطاً ومتناقضاً لهذا الحد فقررت أن أسمي نفسي الانسجام: أنا صديقك الانسجام ومد يده وقال: ألا تعجبك تلك اليد التي مثل جناح أبيض.. لكن ريشه... وصمت قليلاً

وكتم ضحكته ثم استكمل طلبه: سلم.. مد يدك.. جرب مرة ولا تقف عند حد التطلع.. فإذا بالجناح الذي هو يد والذي لدغني كذنب عقرب كشوكة سامة ثم اعتذر ضاحكاً: آسف والله نسيت أنك آدمي! وهذه اليد تدميك! نسيت والله! صدقني! لا أعرف لما قلت له أصدقك، وكررتها لا يهمك يا انسجام.. ألم يأخذ وقته وينتهي المهم لا تمد يدك إليّ ثانية يكفيني أن تومئ برأسك وأرد إليك الإيماءة، يده التي خفت منها رأيتها وهي تعبث في مقتنياتي التي وضعتها على المنضدة دون استئذان.. سلسلة مفاتيح.. موبايل بكاميرا جميلة.. ترى ما الذي يحويه هذا الموبايل.. كل هذه صور أطفالك وزوجتك! كنت أريد أن أكون غاضباً لكن كوني غير متأكد من أنه بشر أو حتى على علاقة بأحد البشر جعلني أتريث في إعلان الغضب، وقلت له مازحاً: ألا تستحي من تفحص خصوصياتي؛ صرخ مباشرة في وجهي حتى عكر مزاجي؛ لمت نفسي وندمت حزيناً: كفى يا انسجام.. آسف – آسف – سامحني.. فارتخى كبطة سوداء في ليلة سوداء في بركة يملؤها الطين والبوص وأشجار الشوك ووضيعة بما تحتويه من قمامة ورواسب وقاذورات ومخلفات من كل صوب وحدب؛ ارتخى حتى أصابني النعاس فغفوت! وأنا سهران معه ومعي؛ استدركني الحلم حتى أرى وأنا نائم! أتكلم وأسمع وأنا في حلكة السهو! فقال لي: على فكرة أنا الذي جعلتك تنام رحمة بك ومغفرة لما اقترفته من ذنب وإن كنت ترى نفسك نائماً فأنا أراك يقظاً أنا الانسجام

يا صديقي الانسجام وكررها حتى ظننتها نغمة منبه الموبايل ليوقظني: العمل – التوقيت يقول لك الآن: استيقظ – قم – قم

قال ماذا تقول: أتزعق وتقول كفى قلت: لا أقصد والله – وكنت أقول لا أقصد ليس لأنني لا أقصد بل لأنني أخاف أن أقول أقصد وأنا في حضرة هذا الذي لا أعرف كنهه ولا قدراته وماذا يخبئ لي ألا يمكن أن يكون مثلاً...! أو مثلاً...!

لو قلتها لسمعني، يكفي أن أعتقد أنه من الممكن ألا يكون الانسجام! وهو كائن مقنع؛ لكن أن أفسر من جانبي.. فهذا محال! لأنه على الأرجح سيسمعني: هل هذا صاحبك؟ كان قد وصل إلى قائمة أصدقائي، توقف عند صورة ربيع.. الذي قررت أن أحكي له أول تجربة إنسانية جديرة بالمناقشة.. احترمت تجذره في أسراري وقلت له ما دام انكشف برقع الحياء فلن أترك المعرفة تموت كما ماتت الست المستحية.. بينما الجريئات ذوات الأجساد العارية قد اكتشفن أجسادهن في دهشة جماهير الإنقاذ.. وهم يهملون الحريق.. والمرأة التي تتلوى في البيت المحترق.. بينما تتقاطر المياه والنعومة حتى نسي الجميع أن هناك نار غمست جسد الأنثى الوحيدة التي أبت أن تخرج لهم عارية.

نعم وقصته كتبتها لا يمكن أن أغير حرفاً واحداً فيها لأنني رأيت الصدق في عينه لو تعرف كم عانى هذا الربيع الذي أصبح صيفاً، ثم الآن سكنه الخريف الأبدي!

لكنك تقول:

أقول ما أريد أن أقوله وهل أنت ستكمم فاهي! حتى أكون نسخة باهتة من صوتك الباهت، هل تعرف أنت ربيع! حتى تتكلم عنه مثلي؟

لقد فعل كل ما يمكن أن يفعله صاحب القلب الأبيض والنظرة الخضراء، لأنه فعل مثل قيس ابن الملوح وتلصص هو وصاحبه والدليل الذي صاحبهما ليصلا إلى منزل المحبوبة الناجحة في الثانوية العامة، كل هذا ليعرف وقد عرف وعارك أهله وعاند مستقبله رغبة في دراسة القانون.. وذهب إلى الحيلة والتوسل والتذلل لتحويل نفسه من كلية الحقوق المقبول بها إلى كلية الخدمة الاجتماعية أعتقد أن هذه نطاعة لا أكثر!، نطاعة! وصمت مثلما يقوم الثائر المتمرد المتحدي الذي شتمه العدو وسبه البغيض فتردى مثل النطيحة حتى فقأ أرض الحلم وقال: لن أكظم غيظي ولن أعفو عنك أبداً.. إنه صديقي أيها الكائن العكر وتسمي نفسك انسجاماً! أخخخخ لعنة الله عليك! ألا تعلم أنه حلم بها في ذات الليلة التي عرف من طفل استدرجه أولاً من خلال الدليل الذي كان من أهل المنطقة فلم يخشَ الطفل أن يقول أولاً أختي التحقت بكلية التجارة أما رفيدة فهي الآن مقبولة بكلية الخدمة الاجتماعية حتى آن للحلم أن يجمعهما، وكان ربيع عاشق الطماطم يقتسم ثمرة الطماطم الوحيدة التي أخرجها الحلم من اللاوعي إلى الوعي فكان يبتلع نصفها وفي عينه ندماً وحيرة على نصف الطمطامة التي تأكلها المحبوبة لو قالت لا أحب الطماطم سألتقطها بخجل مفتعل قائلاً

ولا يهمك يا حبيبتي ثم التهم نصف الطمطامة أنا لولا الملامة ولا أعرف لما عقلي الباطني فرط في نصف الطمطامة أنا أحب رفيدة لكن منذ أن كنت صغيراً وأنا ألتهم نصف قفص الطماطم التي تحمله والدتي على رأسها قادمة من الشادر الكبير منفرداً والله يا عقلي الباطني حتى لا تفعل هذا مرة ثانية، احمر وجهي بينما لا أعرف لما كنت أكتب قصة ربيع وعشقه للطماطم حتى فضحت بخله على المحبوبة رفيدة بنصف ثمرة طماطم أقتسمها معها من أجل الشعور بأنها نصفه الأخر، لكن ألا ترى أن ربيع هذا الذي تقول أنه صاحبك أراد لو أحسنا الظن به أن ينقل محبوبته إلى بؤسه وفقره وضحالته كان من الأجود أن يحلم أنه يقتسم معها نصف تفاحة مثلاً ثمرة مانجو عظيمة موزة صومالية هكذا يكون العز وحب العز لا أعرف إلى أي درجة كان فمي يلتوي ويغمز مثل طعم السنارة مقارناً ما يقوله الأسطى رفيقي الحالي انسجام على صاحبي العاشق ربيع أبو كرش بعد أن اعتزل الكونغوفو وأكل الحمام والبط المسكوفي وأرتاح من الشقاء وحملِ المونة في القصعة والرمل في الشكارة والزلط في الغلق إلى أن تغرب الشمس ينزل من السقالة وينام والشخير الذي يدل على أسد مجهد يرعب السايب قبل المربوط والغمز في نفسي يزيد قائلاً لها دون أن أشمت الريس انسجام في صاحبي الغلبان الغلطان مردداً كيف لهذا الانسجام يطلب المستحيل من ربيع المكروب يقسم في الحلم تفاحة ثمرة مانجو عظيمة و ...و... كيف وهو ندمان وأنا كاتب أنه زعلان وحيران وأن عقله الباطني فرط في نصف

طمطامة، الانسجام يبدو كائناً عبيطاً عائشاً في الخيال والهبل على نفسه لماذا يطلب من ربيع ما لم ولن يفعله باقي المحبين يكفي أن ربيع عاش سنوات وسنوات ينمو الحب داخله دون أن يرويه إلا بنظرة عابرة يلقيها مصادفة إذ مرت من أمامه ست الحسن والدلال والصندل أبو كعب عالي يصفق باب الخطوة حتى تختفي من أمامه تماماً وهو فاغر فاهه أو مثلاً تقول جرح نفض جناح الدم فإذ بالزمن القتيل يتركه ذكرى على الوجه على الإحساس الذي يبيض نظرة النعامة وهي خائفة من انكشافها أمام المهاجم ولو محبوبة فاتنة مثل الآنسة رفيدة المخطوبة منذ التحاقها بالصف الأول من التعليم الجامعي للسيد مصطفى راشد ابن العز وأكل الوز قدر ثمنها ولأنه صاحب محل مشغولات ذهبية يعرف البضاعة الثمينة من المغشوشة حط أيده ولبس الدبلة وقال: والدهب عيار **24** قيراط الفارس المنافس سيفه المبارز دهب! يتوزن في كفه إن رجحت كفته شال الجمل والجمال أنا تاجر أدخل مزاداً أنافس لكن لو البضاعة عدت قيمتها أسيبها وربنا يبارك لغيري.

كركر وعطس وكح انسجام الشمتان الساخر على كلامي طارحاً سؤاله المحير المعبر: إذا كان صاحبك ربيع كما قلت في قصتك المعنونة بخبر عاطفي أنه ندم وحزن على أن عقله الباطني جعل من الطمطامة الوحيدة التي ظهرت في الحلم كإغاثة للجائع واللهفان والهفتان فاقتسمها مع المحبوبة التي قال أنها

ملكة عرش القلب الطاهرة رفيدة فكيف لهذا البني آدم الجوعان القرفان أن يدخل في مزاد يوزن فيه الإنسان بالذهب هل هذا يعقل أيها المؤلف الخرفان؟ هنا وفي تلك اللحظة التي أشرقت الشمس ولم أعد أفرق بين الصيف ولا الخريف ولا الشتاء قررت أن أنفش ريشي وأنكش شعري وأبدو كمارد أهاجم هذا الانسجام ما دام الصباح يعني أنه لا بد من واقع وعمل وحركة وكفاح ولا وقت لهذا الصديق المرفه الذي لا زالت ملامحه غير محفورة ولا منقوشة ولا معنونة ولا مجدولة ولا مرقمة حتى أصفها وأنقلها أو أشفها مثل خرائط الجغرافيا قبل الامتحان بليلة أو ليلتان فقلت وقد امتلأ فمي بالمخاط والغضب والتراب اتفووا عليك... عليك يا انسجام يا من ليس لك أمان ما دام ليس لك مكان وهو يختفي وهو يزول مثل زوبعة ابتلعتها المساحة الشاسعة من الإعصار ذو الأجنحة والمخالب طار تاركاً لي كلمة تحدي: لن أتركك.. انتظرني.. انتظرني.

عليّ أن أكون صادقاً مع نفسي وأجد التقييم المنطقي مع مراعاة فروق التوقيت حيث أن القصة حدثت في تسعينيات القرن الماضي ولم يكن ربيع بيده شيء إلا أن يحلم، يجتهد السنة تلو السنة لعل وعسى والخطى نصيب إلا أنه بمجرد إعلان قوائم طلبة البكالوريوس بخصوص البحث الميداني ووجد إنه في قائمة واحدة مع رفيدة تمنى لو قام بواجبها نحو المجموعة حتى أن بصمته في أوراق البحث الميداني كانت مميزة أحتفظ مشرف المادة بنسخ من البحث الميداني وقال مكرماً أفراد المجموعة بحث

جيد مبذول فيه مجهود مش مطبوخ مثل باقي أبحاث الطلبة، أزمتك يا صديقي الرائع المجتهد أثرت في نفسي أن يصير حلمك الوحيد أن يقترن اسمك باسم الجميلة رفيدة في صفحة البحث المقدم إعداد الطلبة الآتي أسماءهم: واحد.. رفيدة، اثنين...، ثلاثة...، أربعة...، عشرون...، لا يوجد اسم ربيع! هل هذا كافٍ لتتهجم على مدرس المادة حتى أنه حاول تهدئتك واعتذر لك عن الخطأ غير المقصود هل هذا كافٍ لتشكوه لمجلس الجامعة ثم المجلس الأعلى للجامعات وتراسل الصحف الصفراء لتشي بهذا المدرس المحترم قائلاً عنه أنه يقصد إخفاء اسمك وأنّ ما كتبه بخط يده على النسخة التي بحوزتك لا يكفي فأنت بحاجة أن يكون اسمك مطبوعاً بالنسخ الأخرى وخاصة النسخة التي بحوزة الأميرة رفيدة حتى ترى اسمك مقروناً باسمها، ولِمَ لمْ ترَ يا صديقي الرائع أن الفاتنة رفيدة شاركت في تلك المؤامرة وقررت حرمانك من هذا الحلم الضئيل؟ وقرأت هواجسك فاشتكت لناسخ الدراسة الميدانية مثلاً أو لمشرف المادة! هل نظرات العيون واللهفة والحيرة والطاقة الناعمة التي تبث النور كأنه فتيل حنان يتسرب نقياً سلسبيلاً هل ستترك أثراً للحب البريء الداجن يذكرها بهذا العاجز القانع باقتران اسمه مع اسم المحبوبة في كتاب سينسى مع الزمن سيكون مجرد مرجع مؤقت لطلبة الصف الثالث الجامعي في العام القادم أو لعامين تاليين صدقني رغم أن مدرس المادة رجل كما أعرف عنه منك ومن غيرك إنه حاقد مأزوم في كل خبر عاطفي يصله عن طالب يهيم بطالبة فقد سلبه

أحدهم أميرته التي ذهب بسيارته الحديثة الفاخرة إلى بيت أبيها ليخطبها لنفسه وهز بأصابعه الناعمة رابطة عنقه حتى يلفت النظر أو يبدو مهذباً وراغباً قلقاً رغم مركزه المرموق مدرس للطالبة التي عليها العين ثم ترفضه بعد خطبة شهرين مقرة بانسجام قلبها مع أحد الطلبة كعكعكعكع ..كفى هراء! كفى ..كفى

ألا تستحي من دفاعك عن مهزوم.. ربيع هذا لا يستحق فلو كان مغامراً لفاز بمحبوبته.. يخطفها تقصد! ولم لا؟ – يواجهها ...!

تقصد يواجهها...؟

ولم لا؟!

يتزوجها سراً– يذهب بها إلى صديقين ويقول لها قولي زوجتك نفسي

عيب كده

كعكعكعكع... عيب كده!

كيف تحدثني وتفعل الحوار والحركة أنت مختفٍ طردتك منذ أشرقت الشمس!

طردتني!

كعكعكعكعكع...- أنا موجود.. صدقني. لن أتركك.. سأخرج ليلاً وإن قاومت سأشاركك النهار...!

تقاليد جائع

يقال أن الكلب ورغم أنه كلب بلدي تربى على بقايا الأطعمة.. شم في الرغيف المحشو بقطعة اللحم وتأفف حتى أنه عطس وسال لعابه لهفة ثم رفع رأسه عالية ناحية بلكونة سكن الأطباء منادياً بعينيه التي تبث الكلام كإشارة ندم ورجاء ومذلة قائلة في كرب وقهر لما يا طبيب أيحب أن يأكل أحدكم لحم أخيه فكرهتموه.. هذا لحم أخي ورغم أنني أشتم أنه من فصيلة أرقى وقد تغذى على طعام أجود ونال من الاهتمام ما لم أنله لكن لا أستطيع كُل أنت لحم الكلاب أما أنا فلا أستطيع أن أبتلع قطعة من لحم أخي الكلب المستورد من بلاد روما والأرجنتين وبكى! يقال أن الكلب سقطت من عينه دمعة وراءها عطسة وبعدها نكس رأسه وانصرف صاغراً.. هكذا روى الطبيب المقيم عزت فهمي مأساته مع طعام الغداء اليومي.. وقال مستفسراً كل يوم ألقي قطعة لحم من وجبة الغداء يأكلها الكلب راضياً مشتهياً لمَ تلك المرة رفض؟! قل لي لمَ؟ يسأل كاتب التفريدة: لمَ؟ يسأل مدير المستشفى: لمَ؟ يسأل مشرف الأغذية: لمَ؟ كلما قابل أحد: لمَ؟ لمَ لمْ يأكل الكلب قطعة اللحم؟

قالت الممرضة نعمات مفسرة ما حدث ومدافعة عن جودة اللحم _بينما تستبدل تعيينها من اللحم بالدواجن وتستلمها مجمعة ونية شهريا_: لكن

أنا رأيت جابر بسة والله يا عم جميل وكانت تظهر الصدق وتقسم اليمين مرة كل جملة وقالت وهي لا تنسى ما تراه من جابر بسة وهو لا يتأفف من التقاط بقايا الطعام بعدما يوزع بصفته العامل المكلف وجبات الإفطار والغداء على المرضى بالأقسام الداخلية ومن ثم كلفه الطبيب المقيم عزت فهمي كما اعتاد أن يكلفه بعد أن يأتي له بتعيينه اليومي راشقاً عينه متمنياً أن يقول له تفضل فأنا أكلت خارج المستشفى مثلاً أو أن يقول معدتي لا تطلب الغداء وسوف آكل بعد فترة طعاماً آخر هكذا في كل مرة يقدم فيها الغداء للطبيب المتمرد على جودة الطعام بشكل دائم، لكن الآن تمرده على حق بعد أن تأكد بالدلائل والبراهين بأن اللحم المقدم له في وجبة الغداء لحم كلاب مستوردة وهكذا شم الرائحة فقال: أففف لا يمكن أن يكون لحم البقر بتلك الرائحة، ثم استكمل التجربة بما كلف به العامل المسؤول جابر بسة سائلاً في حيرة وقسوة: خذ يا عم بسة قطعة اللحم هذي والقيها للكلب الذي لا يكف عن النباح طوال الليل لا بد أنه جائع إنه دائم المرور اعتدت عليه لكن صوته وبحة بؤسه تثير الشفقة، عليك أن تلقيها إليه مبتسماً واغسل يدك حتى يتلقاها نظيفة.. نظر عم بسة مستسلماً مبتسماً حاضر يا دكتور، ومسح يده المتسخة دائماً طبقاً لعمله في نظافة حجرات المرضى وجمع قمامة طرقات المستشفى وتقليم الأشجار.. وندت النية الطيبة فأحب فكرته فضحك حتى قهقه واتسعت وجنتاه.. قفز وذهب ناحية الشالون وفتح باب العهدة فوجد رغيفه ولم يجد غير قطعة

جبن شم رائحتها لأول مرة وقرر أن يقلد الطبيب فقال: أففففف ما تلك الرائحة الكريهة وقرر للمرة الأولى أيضاً يفكر في تلك الرائحة وأن يستكمل التجربة التي بدأها الطبيب ليؤكد لنفسه أن تلك الجبن ليست من حليب بقري انها من حليب الكلاب لأنها لو من حليب بقري سيأكلها الكلب حتى أنها متكيسة جداً.. نعم.. وذهب مشيراً إلى الطبيب بعد أن التهم بسرعة وأنجز في الالتهام كل قطعة اللحم المرفوضة من الطبيب المقيم، مسح بكم بدلة العمل وعاء فمه وزعق حتى رآه الطبيب وهو يرقب ما سيحدث...كانت قطعة الجبن داخل الرغيف محشوة وغير بادية، لكن أنا رأيته يخبئها، قالت الممرضة نعمات: رفع الكلب بعد أن اقترب ورأى.. بعد أن شم الخديعة! نفر في عزة وشموخ.. ورفع رأسه باكياً مستفسراً.. لمَ بدّل اللحم بالجبن.. حتى نكس رأسه.. نجحت التجربة.. اشتكى الطبيب كل المسؤولين بالمستشفى وشركة الأغذية. فشلت الخدعة. ذهب عم بسة لمحل البقالة بمنطقته.. صارخاً مصدقاً نفسه: لقد أطعمتني أعواماً من تلك الجبنة.. هدده عمار الأمبركابي بالضرب إن لم يسكت.. تشهر بي يا معلم بسة.. بعد أن رأى نظرات الزبائن.. وحركة وجوههم الممتعضة.. ثم الهمس الذي تحول إلى عتاب زاعق.. حرام عليك يا عم عمار.. كلامه كله صح.. عين العقل.. نعم وجدت دودة حمراء في قالب الجبن.. آخر صائحاً: أولادي كشفت عليهم من أجل الديدان منعتهم عن أكل الشيبسي والكاراتيه واللانشون.. رغم ذلك الديدان تأكل مؤخراتهم.. لمَ؟ وكان سؤال الطبيب

لمَ...؟ وسؤال الزبائن: لمَ...؟ وسؤال عم بسة: لمَ...؟ وجواب الأمبركابي غاضباً مهدداً أنتم تشترون بالدين والسلف تلف والرد خسارة.. تفعلون ذلك من أجل ضياع حقوقي.. ورفع الأمبركابي شومته.. ورفع الزبون سنجته.. ورفع عم بسة بلطة العمل التي اصطحبها من أجل سنها عند طارق السنان.. فكان نصيبها أن تجز بدلاً من أشجار المستشفى رقبة الأمبركابي.. لمَ قتلته؟ وهو.. لمَ...؟ ..ولمَ..؟ ولمَ...؟

****

اشتباه

هب أنني قلت لها.. ربما يكون هذا مثيراً للشك
الاحتقار شيء مهين.. أتداعى مثل النخلة المسوس لحائها، لا.. أبداً هذا من رابع المستحيلات
قلت لها قبل ذلك أن الهزل تحول جداً وأنني كنت أسخر عندما قلت لمهاب رأيت أمك تلاعب شاباً صغيراً وهما يصعدان السلم فقال فاغراً فاهه: أمي التي ربتني أم أمي التي أنجبتني أم زوجة أبي التي أمسيت مضطراً أن أقول لها يا أمي فتركته حائراً بعدما صمت وبعدما أكدت قائلاً لن أقول لك أكثر من هذا.
مهاب ليس ابنها حتى يمكن تغضب لشأنه حتى أن والده طرده نتيجة محاولاته التشكيك في سلوك زوجة أبيه دون دليل قاطع ولأنه فتى حاقد يتذكر أمه التي حرم منها ويحاول عرقلة المسيرة، أنا أحب أن أوضح أن هناك مشكلة أكبر هذا لو حدث ولم أقل لها بنفسي ستعرف من آخرين هم بالتأكيد سيؤكدون على معرفتي بالواقعة معرفتها من غيري كارثة بكل المقاييس لكن لو لم أكن أعلم – يفضل ذلك – لولا الفضول؛ كل مرة يدفعني بعينين متلصصتين وأذنين مصغيتين؛ المشهد ملفت؛ الملل العام؛ سأم الأحداث؛ ورتابة الزمن: كل هذا دفعني كالمجذوب؛ دخلت بحواسي؛

أشم؛ أتحسس؛ أستمع؛ أقول ها هو كل شيء واضح أمامي رغم ظلام المنعطف الضيق لتقاطع شارعين فرعيين، ورغم أن هذا المنعطف لا يطل على محلات تجارية ورغم أن الكلاب المتشردة لم تكن على مقربة وكان البرد قارساً استطعت بحواسي المتنكرة المتمردة أن ترى وتشم وتسمع فذلك يعني أنها هي لا يوجد في الحي كله من تشبهها، الطول الفارع، طريقة المشي، حركة الجسد؛ إشارات الأصابع؛ طريقة النظر إلى المتكلم والتلفت الكثير، الصوت؛ إن أوضح شيء هو الصوت، أكبر دليل على أنها هي أم مهاب رغم الظلام رغم النقاب رغم العباية السوداء التي اشتركت مع ظلام الشارع في إجادة التخفي، كظلمة وراء ظلمة، لكنها أم مهاب، لا يمكن أن تكون غير أم مهاب ومن تجرأ من سيدات المنطقة وليس لسيدة أخرى تلك الطاقة على النقاش لمدة تجاوزت النصف ساعة في خلاء كهذا وظلام كهذا وليل دامس ولا أحد غير أنا الذي عدت متأخراً من جولة حرة أقيس فيها الميادين ومناطيل الفتيات وبلوزات الفتيات وجدائل البنات وهكذا تمشي مع خطيبها وهكذا تلك جلستها في الحديقة يدها تحضن صاحبها وهو منسجم في كلامه العادي بينما هي تأكله بعينيها الشهوانيتين المعجبتين بالفتى الجالس لكن أنا لا – لمَ لا تعجب بي؟ – أنا غمزت لها؛ لمَ لا تهتم بي؟ رغم أنني أرتدي حذاءً بنياً لامعاً وبنطالَ جينز اشتريته بمئة وعشرين جنيهاً وتي شيرت أبيض مخطط بني وأزرق كويته بثلاثة جنيهات لزوم التجول طوال الليل ها أنا بعد أن هدني المشي طوال المساء حتى اقترب

منتصف الليل أعود إلى منطقتي إلى حارتي إلى المنعطف الذي سأنحدر منه نحو الخور وأمر من كلاب عنتر تاجر الخردة وهكذا أصل إلى بيتي أطرق حتى تفتح والدتي أسلم حتى أصل إلى حجرتي المنعزلة أعلى المنزل ثم أنام أو أحلم قبل أن أنام أو بعد أن أنام لكن كيف لا تكون أم مهاب هي قالت لي في المرة السابقة: يصح كده، هي لامتني؛ هي حرضتني على الصمت وأنا لم أكن متأكداً من أنها هي! فلِمَ فعلت ذلك؟ أم مهاب – تدعى ثنية وهي أم نادين لأن مهاب أصبح في حضانة والده وتزوج من نعمات فأنجبت له بنتاً سمتها غادة لكن من الجائز أن تكون هي أم غادة ولمَ لا! فهي أيضاً طويلة تنطبق عليها كل صفات الجسد وكل إجراءات التخفي نقاب عباية سوداء طويلة كنت صادقاً عندما لم أجد رداً على استفسار مهاب فأنا بالتأكيد لا أجد إجابة شافية لي أنا أولا قبل مهاب؛ فالمرأة التي ربته لا يمكن أن أخرجها من دائرة الشك فهي بلا عائل بعد أن مات زوجها وبعد أن أصبحت أماً لولدٍ وبنتين وبعد أن أصبحت تقبل كل ما يعطى لها على سبيل الإعانة الشهرية من أهل الخير والمعارف ولا تستحي أن تشكو للتجار عن حالتها المادية فلمَ لا؟ وإن كان لا بد أن أعرف الحقيقة فيجب أن تكون بجرأة خارقة تدفعني للخوض في الملعب المشتعل الدائرة الضيقة كان من الممكن أن أقترب وأقتربت خطوة خطوة لعلي أسمع أكثر لعلي أرى أدق هي زعقت بصوت مبحوح كفاية ماذا فعل هذا المجرم اندفعت أكثر مستطلعاً فاصطدمت بقفص طيور متروك في الشارع فوقعت فصاح الدجاج النائم

وتحرك وتداخل في بعضه بينما نهوضي ومحاولاتي الوصول إلى الملعب المشتعل بلا نتيجة لم أجد أحداً يبدو أنه خيالٌ ربما وكررت الخطوات وأسرعت وفكرت جادلت حتى وصلت أخيراً وقبل أن أطرق الباب سمعت صوت أمي خلفي نادتني بصوت مبحوح وكانت تسبّ أبي بأقزع الشتائم لأنه ترك لها الحمل الثقيل أربعة أبناء تعولهم وحدها وهرب إلى دنياه تركها لمتعه وزيجاته المتعددة إلا أنني لم أجرؤ أن أسألها ولا حتى أغوص بنظري في عباءتها السوداء ولا نقابها ولا طولها الفارع ولا مشيتها ولا صوتها مؤكد صوتها! تجاهلته تماماً وأنا أندفع إلى حجرتي وأنام منتظراً كابوساً ليس له مهرب.

****

أرملة أخي

بشيء من المهانة ضحكت كوني لم أتجاوز السبعة عشر عاماً كوني لا أصاحب الفتيات كوني منطوياً وزملائي في المدرسة ليسوا أصدقاء لي كون أخي الأكبر يراقبني بمنظار أنني هو منذ عشرة أعوام زوجته تدعي....

كيف لها أن تقول ذلك! كلي حزن حسرة أخي أساء اختيار زوجته أمي ترفض نقاشه ادعائه أبي ساب لي الحبل على الغارب تلك العاهة السبب أمي تقول لأخي الأكبر أنت قاسٍ أنت جاحدٌ وتبكي وتشهق يتغطرس كعادته يلعن مؤكداً ربما تثور تغضب من أجله لا من أجلي تحبيه أكثر مني هذا تعبيره لاستعطاف الأم أنا الذي ساعدتكم في أعمال البيت أنا الذي بنيت ودفعت وقدمت ثم يضطر أبي أن يحترمه ولا يرد له طلباً وأمام زوجته لطمني وأمام أمي زجرني وأمام أبي المسن لامني وأدعي أنني أغازل زوجته لا والله أنا مؤدب ولدنا يقول الوالدان بصوت واحد حرام عليك أخوك

لكن زوجته ما زالت تبكي

أخي توفاه الله

وأمي تطلب

وأبي يلح

وهي تنتظر

لكن أنا الذي لم أكن أغازلها قط
لم أنظر لها أبداً
مطلوب مني أن أتزوجها
لكي لا يربى ابن أخي خارج العائلة
الشقة شقة أخي
والسرير سريره
لكن الزوجة زوجتي والابن ابنه، فهل أتزوجها ويصدق قول أخي كنت أهتم بها هل أتزوجها ويصدق رجاءها التي كانت
استغفر الله
لا – أخي لم يحسن الاختيار
الزيجة مجانية
لن تكلفني شيئاً
أخي ضربني من أجلها، هي لا شك حسناء، أنثى كاملة مثيرة للأبد كيف له أن يموت ويتركها، أدعي أنني لم أُربَّ جيداً ركلني أهانني أمام زوجته، كيف أتحداها كرجل، رأتني أضرب على قفاي، رأتني أُلطم بيده الكبيرة كان يقول فيها كلاماً سالماً غزلاً رائعاً صادقاً، أما أنا فكلامي اتهامٌ أما أنا فلا كلام لي تهتهة ثأثأة، اللصق الكلمة في الكلمة لا يفهمني أحد لا يحبني أحد تريد أن تتزوجني أم مازن أرملة أخي، يا أم نبيل ردي عليّ، ألم يكن زوجك الأول هو أخو زوجك الثاني كيف ترينه هل يملأ عينك كرجل، هل يمكن أن

أكون زوجاً كاملاً جلست أم نبيل ترضع نبيل ابنها من أخو زوجها الذي كان نائماً بفعل المخدر يتجرع الكثير من حبوب الأبتريل ولفائف البرجوانة.. و.. و.. ثم لا بد أن يكون هكذا

ألا تريد أن تكون رجلاً؟.. ووضعت أم نبيل يدها على فخذي يا أم نبيل: عيب كده، ألا تريد أن تكون فحلاً، فإذ بي.. وإذ بها.. وإذ بأرملة أخي.. وإذ بالفتى الذي تزوجته أم نبيل وإذ برجل جهم عريض المنكبين رأيته في أحضان أرملة أخي.. وإذ بي يقظاً ونائماً ومخدراً.. وإذ بي في السجن أتلو هواجسي وأضغاثي لعلي أفيق فلا أجد إلا أخي عائداً للحياة يناديني بقلب حان وصوت رقيق ناصحاً أميناً يقول لي: أصدق أن زوجتي تكذب وأنك شريف – مؤدب لكن – أنا رأيتك ليلة أول أمس تتسحب تتلفت خائفاً يميناً ويساراً وتطرق برفق منزل أم نبيل لتدخل عليها رغم أن زوجها الحالي هو أخو زوجها الكبير المتوفى وهو دائماً مخدرٌ ونائمٌ فلمَ تذهب إليها... أليس هذا يثير الشكوك؟

****

الأجرة

أحسست بضيق فحملت عني الكرمبة: المكان ضيق يا أستاذ.. والله أنا آسفة؛ لا... أبداً؛ نادى التباع: الأجرة يا سادة ناقصة جنيه ونصف؛ مين مدفعش؟ نظرات التباع مصوبة نحوي؛ إشاراته التي طرحت مصحوبة بصوت: ها... حد بيراجع نفسه؟ كنت أريد أن أقول: أنا دفعت لكن.. لأنني شعرت أنني الوحيد الذي على رأسه بطحة سكت تحملت نظراته ولم أنطق إلا أن جارتي قالت هامسة لي: هو أنا مش اديتك الجنيه ونص يا أستاذ علشان تبعتهالوا، قلت متردداً: نعم... أنا وصلتهالوا فقالت وهي تمصص شفاهها: طب أمال ماله بيبصلك كده! شعرت بالارتباك مضاعفاً وأنني الوحيد الذي عليه العين قال التباع ضاحكاً بدل ما تدفعوا زيادة، صدقة عن صحتكم وخضاركم ومشترياتكم اللي محملينها في العربية الفلوس توصل ناقصة! قال الراكب بجوار السائق: مين يدفع لمين... الناس غلابة، قال السائق ضاحكاً: أنا وقفت في الطابور ساعتين علشان أشتري لحمة ثم التفت قليلاً للراكب جاره كيلو إلا ربع والله والناس بتشتري ثلاثة كيلو وأربعة كيلو ساعتين كاملين لما الشمس لفحتني ويقولوا الناس غلابة قال الراكب خلفه مباشرة: وقد كان معه أكياساً كثيرة تحوي فيما يبدو خضار وكيس سمك لا يقل عن عشرة كيلو: هي يا أسطة بالكمية

مهو ممكن يكونوا بيشتروا لعيلة كبيرة مفيش حد سايب حد في حالة فشاركه السائق الرأي مستوضحاً: تقصد بيشتركوا مع بعض، فرد الراكب: أكيد ورد الراكب في المقعد الثالث من الكنبة الثانية: أكيد... لكن على الراكب الذي خلفه تماماً بعدما سأله عن كوبري أبو حمار: تقصد كوبري القش فرد السائل مؤكداً: لا... أبو حمار يا باشا فأكد له ثانية أيوه يا أستاذ هو كوبري القش مشيراً بإصبعه الذي بدا مثل سهم من يده اليسرى وهي ترسم دوائر حول أكوام البرسيم وكشك أخضر مكتوب عليه محل أعلاف وأدوية بيطرية ثم نكت الإصبع في الهواء من نافذة السيارة حتى تركزت عين السائل في النقطة التي هي مركز الدائرة كوم أخضر من البرسيم وحمار وجحش وثلاث نعجات وهكذا تأكد السائل... فطلب توقف السيارة: على إيدك يا ريس، فوقفت السيارة ونزل عدد **3** ركاب من أجل تمكن الراكب من النزول وصعدوا في أقل من دقيقة منطلقة إلى الكوبري التالي بعد أقل من دقيقة نادى السائق الأجرة يا سادة ارتبك الركاب جميعهم أشار كل واحد لجارة ثم للذي أمامه حتى اتجهت الأنظار إلى التباع الذي لم يعد متواجداً بالسيارة مؤكد أنه نزل أثناء نزول الراكب عند كوبري القش أو كما قال الراكب... كوبري أبو حمار، تكرار طلب السائق الأجرة صاحبه رد فعل ساخط من الركاب: إحنا دفعناها للتباع فكانت الصدمة: رد السائق بدرجة

من التهكم والغضب: تباع مين... هي العربية مكفية اللي عليها علشان أشغل عليها تباع.. دا راكب زييكم.

فردت السيدة المسنة والتي كانت تحمل طفلة ابنتها المطلقة ذات الستة أعوام: إحنا ملناش صالح، يعني من كتر فلوسنا ندفع مرتين، ثم استرسلت في حكيها عن ابنتها المطلقة عن تهرب والد حفيدتها عن دفع مؤنة ابنته وهي تصرف عليها من معاش زوجها المتوفى منذ عشرة أعوام، وقال الراكب صاحب أكياس السمك زنة عشرة كيلو وأكياس خضار: والله ما معاية وله ربع جنيه في جيبي: تاخد لك برتقالة وهو يضحك هيء هيء هيء فغمزه الراكب جارة كالعادة أنت بتقول إيه... طب أنت معاك برتقال تديلوا إحنا معناش حاجة! وحرك يده داخل جيوبه مؤكداً لجاره أو لنفسه ربما يعثر على نقود يمكن تسد تبعات النصباية التي ربما تؤدي إلى النزول من السيارة وإكمال باقي الطريق سيراً على الأقدام.. ثم تلصصت عيناه إلى الشمس التي كانت وحشية في الصيف في منتصف السماء وقاهرة ومهيمنة من شدة سخونتها؛ وقالت المرأة جارتي وهي تهز فخذيها فتهتز الكرمبة كرأس الثور الهائج: طب والله ما أنا دافعة، وكمان والله ما أنا نازلة، ثم خفضت من صوتها محدثة من خلفها وأنا من ضمن: دا لازم تبعوا وقال ننصب على الغلابة المغفلين ونطلع بفردة زيادة ثم قال الراكب خلفها: ممكن... هو مش قال ادفعوا زيادة علشان بنرجع فاضيين؟ حرامية وطماعين ثم أكد الراكب في المقعد الرابع بصوت مرتفع كاد يصل للسائق

يعني هو بيأكل عياله بيها! دول بيشتروا بيها مخدرات، ندفع زيادة لولاد الحلال مش لدول وزاد غضب المرأة صاحبة الكرمبة التي تهتز على فخذها فرددت زاعقة والله ما أنا دافعة والله ما أنا نازلة، اهتز الركاب كلهم واندفعت بجسدي حتى ارتطمت برأس الجالس أمامي، ثم صوت الفرملة صوت زاعق وصراخ صبي لم يتجاوز الثانية عشرة، حمار يرقد مصاب وقد وقعت حمولة العربة الكاروا من أواني فخارية وزيار فتكسر بعضها ونجا بعضها نزل الراكب واحد تلو الآخر زجاج السيارة الأمامي تهشم تماماً والفانوس الذي في مقدمة السيارة انكسر كله، السائق يصرخ ويريد أن يتهجم على الصبي، الصبي يصرخ ويريد أن ينقذ ما يمكن إنقاذه فحماره على الأرض في إعياء تام وحمولته التي تكسر بعضها دلت دموعه الغزيرة على أنها عهدة وأنه سوف يلاقي جزاء مضاعفاً بعض الركاب ساعد الحمار في أن يعود إلى الوقوف بعضهم أخرج من جيبه عوضاً للصبي عما خسره من أواني فخارية بعضهم شجع الركاب على إعادة دفع الأجرة المقررة لأن السائق ليس له ذنب في استيلاء أحد الركاب على الأجرة السابق دفعها وفيما يبدو أن السائق كان محرجاً وحزيناً فحاول أن يرفض قبول الأجرة حينما أطل أخيراً التباع المزيف بعد أن نزل من سيارة أجرة أخرى ووقف هو وسائقها ووراءهم أكثر من سيارة تتابع الحادث ثم اقترب من السائق مد يده بالأجرة المجموعة سابقاً قائلاً في أسف: نسيتها معايا والله، معلش الدماغ مشغولة كانت المرأة صاحبة حفيدتها الطفلة تهمس في امتعاض: أهو طلع صاحبه

مش بقولكم نصابين وكانت المرأة صاحبة الكرمبة تنزل ووراءها الرجل صاحب كيس السمك وأكياس الخضار ودار الحوار حول الخير والشر: اللي يعمل خير يقعد له واللي يعمل شر يلقاه، تأملت السيارة التي فقدت زجاجها الأمامي وأكثر من ثلثي الركاب غادروها فأصبحت خائفاً من بقائي بالسيارة رغم أنني لم أصل إلى مكاني بعد، فنزلت مسرعاً وأكملت الطريق سيراً.

****

توفيق أوضاع

اليوم الثلاثاء ٢٦ مايو الموافق ٣ من شوال ١٤٤١ ه ثالث أيام عيد الفطر وحيث أنه في ذلك لليوم يجب أن يستنفذ المنزل كثير من السلع الغذائية وكثير من الرغبات الملحة في استكشاف المدينة وشوارعها.. هل تغير شيء.. هل رائحتها نفس الرائحة وأصواتها نفس الأصوات.. والملابس التي تطفو دائماً كما يطفو الورد في الربيع كما تنبثق الزغرودة في الفرح.. كما.. كما.. قلت إذاً لا بد من الخروج.. وإن كان ليس باستطاعته إلا أن أخمن وأعتبر نفسي متجولاً تحت الاختبار.. هل سألاقي بعض المتاعب الناجمة عن توقف سيارات الأجرة تطبيقاً الحظر الشامل.. نعم سألاقي وهذا لا يعني ألا أسعى إلى الانبثاق من هذا الكهف المنزلي.. سرني أن وجدت سيارات ودرجات بخارية حتى جال في خاطري أن هناك تفرقة بين هؤلاء الذين يملكون سيارات خاصة وأنا الذي لا يملك إلا أن يدفع أجرة في سيارة عامة.. غير أن هذا لم يكن كل استعداد فأنا ربطت مبلغ من الميزانية التي سأبددها اليوم من أجل ركوب توك توك مخصوص.. إلا أن الفرصة منحتني فرحة تعبر بمثابة أول انشراح بعد مرور يومين من أيام عيد الفطر المبارك.. وما أن توقفت سيارة السرفيس التي ليس بها إلا باب واحد يفتح من الكابينة المجاورة للسائق. وتسع من الركاب ١٦ راكب.. كنت قد فرحت فرحاً دفعني

لأن أتخذ للسائق صاحب القيم والمبادئ نموذجاً للسائق النموذجي فهو لم ينتظر أولاً أن تستكمل السيارة عدد الركاب.. بل تحرك بنا مباشرة ونحن لا يزيد عددنا عن ٧ ركاب.. وهذا قادني لأن أطلب منه أن يأخذ حقه بالتمام والسلام ورضا الركاب.. وبدلاً من أن يدفع الراكب مبلغ ٢ جنيه مقابل التوصيل دفع كل واحد منا ٥ جنيهات.. ويكفي أنه يتحرك رغم الحظر ورغم خطورته ورغم العيد ورغم قلة الركاب معه.. أو ربما تصادفه إحدى دوريات الشرطة فتدون عليه غرامة قدرها ٤ ألاف جنيه بخلاف المخالفات التي يجب أخذها فتلك السيارة المتهالكة الفرش والأبواب والشبابية لا يمكن أن تكون أوراقها سليمة.. رخص وصحة وسلامة مهنية فأنا لم أجد طفاية حريق بالسيارة.. لا زجاج سليم ولا مرايات يمكن أن تكون مرشداً للسائق غير أن رجلاً مسناً وآخر حاولا أن يجادلا في قيمة الأجرة مبررين ذلك بأنه بمثابة استغلال للظروف التي تمر بها البلاد.. إلا أنني أنا الذي رفعت صوتي مدافعاً.. أنا الذي قدمت ضدهما كل الأسانيد لدحر همتهما فلا يواصل التمرد على هذا السائق الشهم المغوار الذي جازف وحرك سيارته رغم الحظر والخطر وكمائن الشرطة التي تنتظر فريسة تؤكد مهارتها في القنص والتصوير.. حماستي وحججي وصدق لهجتي.. دفعهم لأن يكونا راضخين استسلام ودفعا ال ٥ جنيهات وعن طيب خاطر ضاحكين.. فعلاً يا أستاذ عندك حق.. فهي مغامرة بالفعل مما أن

سائق التوك توك طلب منهما ٣٠ جنيه على نفس التوصيل مما يؤكد أن هذا السائق محترم ولا يا غالي في التسعيرة.

كلما وقفت عند محل تذكرت شيء أريد شراءه حتى وإن لم يكن في القائمة المعدة سلفاً فصعوبة الخروج من المنزل أدت إلى رغبة جامحة على شراء كل شيء وكميات أكبر.. تفاح.. موز.. خوخ.. عنب.. مشمش.. جوافة.. لعمل كوكتيل معتبر يترك بهجة ناجمة عن حاسة التذوق ومن حائط الصد التي تحدثه تلك الفاكهة.. فيتامينات مقوية للمناعة.. شيكولاتة لدفع السعادة خطوة للأمام.. لب وفول سوداني وفزدق.. تمام.. خيار.. طماطم.. امتلأت حقيبة الخضار.. وأن الأوان للعودة لكن يجب أولاً تجديد باقة النت حتى يمكن للتسلية والمعلوماتية أن تكون بديلاً عن اللقاءات الاجتماعية.. رفض عامل الأمن دخولي الشركة وطلب مني شراء كمامة من الصيدلية المجاورة.. كمامة ب ٥ جنيهات وما دامت قدمي تقف الآن على عتبة الصيدلية فلا بد من شراء كحول ب ٣٠ جنيه والاحتياط واجب.

ها أنا في نفس السيارة السرفيس حيث لم يكن بالموقف أية سيارة أخرى غير التك توك وأعداد من سيارات الأجرة الخصوص.. هذا يطلب ٤٠ جنيه نظير التوصيل وهذا ٥٠ وذاك.. كل هذا لأن حقائبي الممتلئة دفعتهم ليظنوا أنني بحاجة ماسة إلى سيارة مخصوص.. حتى أنني اندفعت بأكياسي وحقائبي داخل السيارة السرفيس لأجد نفس السائق ونفس الرجل المسن وصاحبه. كأننا كنا على موعد وها التقينا مرة ثانية أو كأن المدينة كلها لا يوجد فيها

غيرنا نذهب ونعود محملين بمشترياتنا حتى بدت لي المباني السكنية المجاورة للموقف ليس بها حياة.. كنت فرحاً جداً بالسائق أكثر من فرحي به وأنا ذاهب فالعودة أصعب وأنت تحمل كثيراً من الحقائب كما أن درجة الحرارة ارتفعت أعتقد أنها فوق ٤٠ درجة مئوية.. وهذا يكفي لأن أدعو للسائق حتى قبل أن يتحرك بل وأستعد لأن أكون مدافعاً عن أي مطلب بخصوص الأجرة. حتى ولو طلب مبلغ ١٠ جنيهات بدلاً من ال ٥ جنيهات التي هي في الأساس مبلغ استثنائي بالنسبة للأجرة الأساسية.. إلا أن ابتسامة الشيخين لي وسبقهم بإخراج مبلغ ال ١٠ جنيهات ممن داخل محفظة أحدهما.. طمئنني بأن التوصيلة ستمر في أمان الله.

إلا أن هذا لم يحدث بالنسبة لي على الأقل فبمجرد إخراجي للمحفظة وتقليل أصابعي في جيوبها الداخلية والخارجية حتى أنني فتحت سوستة المحفظة التي عادة ما أخبئ فيها آخر احتياطي نقدي فيها.. فلم أجد جنيهاً واحداً.. فتحت تلك السوستة عدة مرات التأكد من الصدمة.. طق. طق.. طق.. هو صوت الكبسولة التي تعني أنني أتأكد من أنني في ورطة عدم وجود نقود إلا جنيهين مدنيين فقط لا غير.. غير أن هذا المبلغ كان يمكن أن يستر فضيحتي في حالة أن الحياة عادية.. وأنّ سائق السيارة يسير في ظروف غير استثنائية.. فهل يمكنني أن أقنعه أن ظروفي الاستثنائية أهم وأخطر من ظروفه الاستثنائية.. كيف بتلك النظرات الشمتانة لو تحدثت خلاف ما قالته في التوصيل الأولى.. وأظهرت رفضي لدفع ال ٥ جنيهات مقابل

التوصيل.. على أن أراجع حساباتي.. كيف صرفت كل الأموال التي كانت بالمحفظة بدون أن أعي أنني لم أدخر حتى أجرة للسيارة السرفيس.. هذا حرج مدجج بالسخرية.. قد تحدث مفارقة وأكون أنا بطلها.. كيف يا مدام تقولي هذا.. كان السائق يتحدث بحدة إلى السيدة التي تجلس بالمقعد الخلفي.. ورائي تماماً هي وابنتيها استحوذ على ثلاث مقاعد وأنا أفيق من صدمتي على تمرد السيدة التي بدت من ملابسها أنها سيدة ترتدي ملابس أنيقة هي وبناتها كما أنّ أقراط ذهبية بأذن كل فتاة وهي كذلك عليها زينة ذهبية تساوي الكثير.. لو كانت السيدة تلك تركب معي في رحلة الذهاب لكنت لقنتها درساً في تقدير جهود السائق وفي ما يقدمه لنا رغم الخطر والحظر.. كفى إنها ليست بالسيدة الفقيرة.. إلا أنها تحدثت عن المبدأ واستأنفت قائلة بفرض أنني أعطيتك مبلغ ١٥ جنيهاً لكن ممن الممكن أن يكون أحد الركاب ليس لديه إلا قيمة الأجرة الأصلية.. نعم.. قلتها بصوت خافت ثم ازداد حرجي.. هل كانت تتابعني تلك السيدة الذكية اللبقة..

غير أن كلامه عن عدم اهتمامه ولا محاسبته لمن ليس معه إلا التسعيرة الرسمية.. دفعها لرفع صوتها محذرة ممن هذا السلوك الذي يجرح ال الراكب رغم أنه من حقه أن يشعر أن ما دفعه ليس أقل من حقك كسائق.

يا سلام كلام ممتاز.. همهمت شفتاي سعيدان بما تظهره من صراعات نفسي أمام السائق.. مؤكدة في الجدال الدائر بينها وبين السائق أنه من الجائز أن

راكب يضطر لدفع أجرة عدد من الركاب كان على معرفة بهم أو سيدات وفتيات وهو عمهم أو خالهم.... حينها تعجز محفظته عن تسديد مبلغ استثنائي لعدد استثنائي فهل فهمت يا سائق.. وأنا كذلك يا سيدتي فهمت..

أعاد الشيخين النظر إلى فلم يجدوا إلا رجلاً صامتاً وشارداً في الطريق الطويل.. فأعادوا مطالبة السائق بباقي ال١٠ جنيهات

كذا السائق لم يجد حليفاً غيري فكان كلما هدأت السيارة بعد مطب صناعي يلقى إلى نظرة خاطفة مستفسرة عن سبب خرسي.. أقابل تلك النظرات الخاطفة بالنظر خلفي إلى السيدة وابنتيها هازاً رأسي بفرحة وعيناي تحدثانها.. تمام يا ست الكل... ٢ جنيه لا أكثر

****

موقعة سوق الخميس

(عنتر والسيدة السمينة نبوية)

قبل قليل ومنذ السنوات العشر وأنا مجرد قلم ودفتر أطرح الأسئلة وأنقل الإجابة من ألسنة الخصوم.. الشهود.. المجرم والضحية.. الوقائع ومكان الحدوث.. الساعة.. الأسباب؛ وهكذا يتشكل وجه المحضر يطل المجرم كما كانت ترسمه جدتي في أحاجيها بشع مرعب لا يمكن أن يكون إنساناً شبحاً مصاص دماء؛ وقبل قليل كنت أشرب شاي الصباح أرص حجر الشيشة المخبأة تحت المكتب حتى كاد مزاجي ينضبط؛ إلا أنني لم أعد قلماً لم يتشكل أمامي الوجه الدميم اللزج حتى أبصق عليه وأقلب الصفحة وقد سجنته في جوف السجل المجلد مجرم وقد رفع المحضر لسيادة المأمور وبعده لسيادة المستشار، الحدث أكبر من أن يكتبه القلم، الورقة أضعف من أن تتحمل ذبذبة الأصوات الزاعقة أمامي والوجوه التي احمرت غضباً ورجال ونساء، إن ما بدا أمامي دخل في جوفي فحجب عني القدرة، الإصغاء هو قدرتي، لا طرح الأسئلة بل الرؤية ومن بعدها الرؤيا ومن بعدها الفحص حتى أدرت شريط الكاسيت لأسجل الكلمة كيف أخرجها المجرم الذي أصبح رجلاً حملته السواعد فوق الأكتاف وزفته النسوة وهو يحمل البراءة مضاعفة الرجولة كاملة وكان اسمه عنتر وكان اسمها السيدة السمينة نبوية

هي التي أعطته صك الرجولة أعطته أيضاً صك البراءة وقد أكد والشهود مئات من الرجال والنساء من ذهبوا إلى سوق الخميس لشراء البيض والجبنة والأرانب والبط والإوز والدجاج والذرة الشامية والأرز وعلف البهائم لا ياباشا كان ما فعله برغبتي، تقصدين أنك استدعيته؟ نعم أغريته حتى خلع فخلعت ورقد فرقدت فاشتهى ما اشتهيت ومن حاول أن يمنع المزج والهرش خلع يده فاشلاً وألقى فوقنا قماش المظلات من شدة التصاقنا حتى انتهينا فجرجرونا هكذا هو بفرش الخضار وأنا بخيش المظلة أكمل... أكمل ويدي على خدي وعيني عليها كقطعة جمر محاطة بغشاء من عطر وماء وثلج أصابه الذوبان فهطل عليها وعليه حتى تحول الجمر وهجاً منيراً وشعرها المتدلي من خلف طرحة سوداء عليه آثار جذب وصعود وهبوط وإجهاد وتحرر وشرذ من الدم الناري يتطاير ملتصقاً تراباً وقشاً وبقايا طعام وورق ونشارة خشب وطمي تكلم فقال لي أنه كان تراباً ولكي ينفصل الصاروخ عن القطار رشوا عليهما الماء جردلاً تلو جردل فابتلت الأرض ولم يبتلا رأيت نفور أعضاءها المبتلة رأيت هدوء جسده الطويل العريض بجلبابه وقد تلطخ بالطين كل ما تبقى من ملابسه وشاله قلت والقلم لا يكتب، القلم أصبح هامشاً والورقة أصبحت خرابة لم يمتطِها الحدث وليس إلا رغبتي العارمة في فهم الزمان والمكان، من أين أتته القدرة على تجاوز الخوف من كل الموجودات من كل المخاطر ودفع نفسه إلى الجسد المبهم الحيرة ولم تدفعه الغربة إلى مكاشفة الذات .." لن تستطيع أن تفعل

شيئاً". أكتفي بالنظر بامتصاص ما بدا عارياً من تحت جلبابها وهي جالسة تبيع الجبن القريش والبيض البلدي وديك ماتت دجاجاته الأربعة "بالزريقة" واحدة تلو الأخرى فوجب بيعه. وجب خلعه ما دام لا يفعل ولن يفعل شيئاً كما لم يفعل زوجها شيئاً وهي تقول افعل وهي تقول اكتفِ بي وافعل ألبسُ لك وأفعل أتعرى، أرقص أتزين أطير بجناحي خيالك كما تريدني فرسة ناقة نعجة ولكن افعل، زوجها الذي لا رقبة له كاد أن يموت من الضحك بعدما جاء بالزوجة الثانية وقال هذه سيدتك حجرتها مدينة أعيش فيها ولا أخرج، طلباتها فريضة مقدسة ومعشوقة لأنها أنثى وهو يتمطع يتلوى كثعبان أردت أن أقتله فطردني معلقة على ذمته سنوات وأنا أنثى بلا رجل بلى أنثى بلا حقيقة يكفي إنها لا تنجب لكي لا تكون أنثى يكفي أنه لا يصبح رجلاً أن حاول أن يعطيها حقها الشرعي، أو ينالها من أجل أن تشبع رغبته في تغيير المتاع؛ لكن الدقائق تنتهي بأنها لو كانت أنثى لصار رجلاً فكيف لا تذهب كل خميس بدون أن ترتدي تحت ملابسها ما يستر عورتها فيبان كل شيء وهي تبيع الجبن كما كان يبان وهي طفلة مراهقة من أجل أن تثبت إنها يمكن أن تكون الأفضل رغم أن وجهها الأقل جمالاً هي الأكثر جاذبية الأقدر على لفت الانتباه وهذا ما دفع الأب العصبي الحاد العادات والتقاليد لرميها من السلم حتى وقعت على ماء سلق البطة المذبوحة فاندلق الماء عليها ومستها النار فانطفأ الكانون واشتعل في جسدها التشوه لكن ها هي تعود ثانية وكل خميس لا يبيع باعة الخضار إلا

كلمات الغزل ها هي جاءت تتراقص في مشيتها النساء كلهن لا شيء هي فقط التي تحتوي الكلام كله والاهتمام ينسيهم الخجل الخوف لكن دائماً ينتهي التجاذب عند الكلام عند الظهيرة وانكبابها عائدة إلى بيتها ما حدث اليوم الخميس الموافق أخر خميس قبل عيد الفطر والناس صيام والشهوات قيام هو الوحيد الذي لم يتكلم من قبل عنها إن رآها لم يكن إلا لأنه لن يفعل كما لم يفعل من قبل عندما فضحه والده وقد وجده يمتطي نعجة محاولاً إثبات ذكورته: نعجة يا كلب... يا فاجر.. نعجة! خلاص.. ووضع في فمه برازها ووضع في مؤخرته العقرب فلسعته فكواه بالنار وكواه بالزواج من بدرية المسترجلة التي تكبره بأعوام والتي صوتها حاد وجهوري ولا يمكن أن يقدر عليها إلا الثور وهو لم يكن إلا فتى صغيراً لم يختبر النساء فكيف له وقد صار بين أعين النساء أمها في الحجرة وأبيها وإخوتها بعد الزفة وبعد ضرب النار وهدوء الزغاريد وجمع النقوط.. الفوطة في يد الأم والعيون والضوء وها هو لا يفعل ما يفعله العريس لا يقوم ولا يقعد كيف له أن يرفع رأسه وأن يخرج ملوناً الفوطة البيضاء بدماء البكارة.. وأن يقول ها أنا ليس كما قال أبي يبدو أن ما نشره بين الناس هو طوق نجاتي، أبيك كاذب لأنك لم ولن، أم ربما وربما.. وربما وها ها وهيء هيء هيء وكع كع كع، أنا عنتر الخروف يا فندم تصور أنا عنتر الخروف وقد وجدت لأول مرة نفسي تحولت ذكراً رجلاً بشراً لا حيواناً أفلا أعري البدنَ وآكل ما أكل البشر وأكشف الستر ألبس الدفين من جسد الأنثى المرأة، وما إن

خرجت البراءة من لسان المرأة وحمل الرجال الرجل على أكتافهم وجروا به في ثورة وزفاف لم تعهده المدينة حاولت أن أستسمح القلم أكتب فلم أجد السجل!

****

البريء

تحملين يا أختي كل المكر ولا تنسين أبداً أني كنت سبباً في موت حبيبك كان حباً صادقاً أليس كذلك؟ لقد رأيته الآن فيك حتى بعد مرور السنوات كل كراهيتك لي ولأبنائي وكل مكائدك الخفية هي التي أكدت لي مدى إخلاصك لهذا الحب أظنه أيضاً كان حباً صوفياً إلا اللحظات التي تجلى وخلع فيها جسده فأكل من تفاحة الخلد ونال القبلة وأنتما أمامي تبذران الدموع ندماً وغطاء لعورتكما حتى نام الخشوع ورحمكما الذل من إفشائي وكنتِ في قلبي وغرست في عيني عمى دامعاً وغياراً من النسيان متأملاً ضعفكما أهذا جزائي تحاولين أن تثبتي أمامي أنك مظلومة ترفضين العريس تلو العريس حتى اقترب عمرك من الأربعين ولازلت عذراء ولكن كلك مقت لي ألا يكفيك أن كنت سبباً في طلاقي الأول والثاني والثالث، لا زلت أذكرك كنت أسير بسيارة الميكروباص عائداً آخر الليل من عملي خط كرور – أسوان وإذ بي أفاجأ بعابر لم أكن أعرفه أبداً صدقيني وإن لم تصدقيني فهل من المعقول أن أضعه بسيارتي رغم أن الطريق خالٍ من الشهود وأحاول إنقاذ حياته هل من المعقول أن يقر أمام النيابة وهو مقبل على الموت إنه هو الذي رمى نفسه أمام الميكروباص وإنني بريء من إصابته حتى عن طريق الخطأ أهذا جزائي أن كتمت سركما ولم

أصارح أبي ولا أمي ولم أعاتبك حتى بكلمة واحدة إلا أنني طلبت منك أن يتقدم كأي محب إلى أهل حبيبته رغم أنني اعترضت على ما عرفته عن أهله فقد عرفت وقلت لك ما عرفته.. أبوه أعدم شنقاً في قضية اعتداء وقتل عمد وأخته سلوكها ليس على ما يرام، قلت إنه يختلف، قلت لك المظاهر خداعة الكلمات التي دائماً تُقال ليست هي ما تتحرك في القلب لكن الأيام صدقتك، آمنت أنه يحبك، لكن سيحبك بطريقته بأسلوبه وهذا لن ينفي أن واقعه الاجتماعي غير آمن من حق الأخ أن ينصح أخته أن يحاول أن يجنبها صراعات المشاعر والخسائر الفادحة التي سيصيبها عاجلاً أو آجلاً صدقي أنني من دمك، حاولت أن أعيدك إلى الحياة فراشة وزرعت في طريقك خيرة الشباب من أصحابي ومن معارف أصحابي كلهم كانوا أفضل من حبيبك القتيل حبيبك الذي لا أعرف لمَ أحببته إلى هذا الحد أهو عناد؟ هل من المعقول أن يكون هذا الشاب الذي نشأ في بيئة كلها فساد وإفساد ما الذي يعجبك فيه لقد عرفت أنك أدمنتِ مخدرات الاستروكس والفوتو.. علاجك بيدك أن تحاولي أن تنزعي هلاوسك نحوي الشك الدائم في أنني كنت سبباً في مقتله ألم يكن هو أول المشجعين لك على هذا الانحراف ألم يكن يتجرع الابتريل ويحكي لك أنه مضطر حتى يكون شجاعاً أمام الحي الذي يسكن فيه وحتى لا يتجرأ أحد على أخته أمامه ويقول عنها أو يغازلها هل هو فعلاً كان مصدقاً أن أخته شريفة؟ لا داعي ما دمت لن تصدقي أنه ليس الحبيب الذي يستحق التضحية بالحياة

كلها يكفي أنك أصبحت مدمنة، نعم يقولون ذلك، أعرف أنني قد أكون أقل أخلاقاً من عزت وأنني كنت في فترة ما قد استدرجت أخته وأغريتها حتى انحرفت بعد ذلك انتقاماً من كل الرجال أعرف أن يكون جزائي أن ينال أختي وهي مقتنعة بأن رضوخها واجب مقدس من أجل الحب لا يا أختي بل من أجل الانتقام، نسرين كانت مجرمة فعلاً أنا أحببتها أو قولي أعجبت بها لكن هذا الاستسهال من جانبها معي أخافني على مستقبلي معها هل أثق بتلك الفتاة التي لا تمانع في أن تعطي بكل هذه الأريحية من أجل الهدايا العاطفية كلمات ورود دباديب شحن رصيد وتليفون محمول وشيكولاته وسندوتشات وعصائر وملابس مهتمة هي بالملابس بالصور التذكارية التي أخذناها سوياً حتى إن عزت قرر الانتقام بطريقة أخرى لكن أنا لم أقتله لم يكن إلا قتلاً خطأ حتى أنني حاولت أن أنقذه اعترفت بالواقعة، هو أقر أنني بريء، صدقيني، أما ما تدعيه عيناك فهو بهتان أما ما يتجلى على هيئتي من ارتباك وتلجلج أن واجهتك في هذيانك فهو إحساس بالمهانة أن أدافع عن نفسي وأنا مظلوم رأيت أختي في أحضان حبيبها ولم أتكل مالاً كلمات الوعظ والإرشاد كان يجب أن أغضب وأثور واستل خنجري وأغوص في دمائكما كان هذا هو المفترض أن يفعله الأخ مع أخته ومع من اعتدى على شرفها على هذا الأفاق الذي استغل..؟ كما استغلت أخته سذاجتي فأعطتني جسدها وتدعي أنني استدرجتها حتى

أخذت شرفها فلطخته بالرذيلة هل قال شيئاً وهو يموت غير ما قاله أمام النيابة؟

اليوم الذي ودع فيه الدنيا الذي دخلت عليه وانفردت به وقتاً لا يتجاوز العشر دقائق هل قال أنني عفوت عن أخيك من أجلك؟ قال: إنه لم يقتلني عن قصد؟ قال: إنه بريء رغم أنه انحرف ناحيتي وضربني وأنا أسير فوق الرصيف ثم ادعى غير ذلك قولي، لو قال لك ذلك فهو مدعٍ يريد أن تستمر الضغينة بيني وبينك أن تقتليني كل يوم كل جريمة كراهية يؤكدها كلامك وأفعالك مات ابني ورأيتك من فتحة الباب ترقصين رقصة سلو هل كان يراقصك الشيطان الشبح الذي يوسوسك كل ليلة بأنني قاتل.. قاتل، الآن وأنا أواجه المشنقة في سجني الانفرادي وبدلتي الحمراء تذكرني ببدلة والد عزت هل تساوين بين المجرم الحق والمظلوم أنا اعتديت وقتلت قتلاً عمداً ولكن ما الأسباب والوقائع والملابسات وظروف الجريمة أنا بريء يا أختي وأنت تعرفين أنت الوحيدة التي تعرفين ذلك لمَ لا تشهدي بالحقيقة بأنني قتلت خطأ هذه المرة صدقيني كان قتلاً خطأ وكان الاعتداء من أجل إنقاذ حياتي، قتلته.. قتلته..

****

التي شعرها أبيض وروحها بيضاء

أنا أكبر من عزيزة بعام ونصف أكبر من أماني بأربعة أعوام، هذا لا يعني أنني ما زلت صغيرة لكن عندما تقدم سليمان ابن حسين الجزار لخطبة أختي عزيزة شعرت أنني عاجزة عن لفت انتباه الشباب المرأة تقول أنّني أصغر ملامحي دائماً طفولية حتى إن كشرت وغضبت وصرخت وبكيت وضحكت وتكلمت كلام الكبار في جلسة الونسة جنب عتبة الدار مع والدتي نقطف أوراق الملوخية أو ننقي الأرز أو نقور الكوسة

- والله البنت شاطرة (الجارة أم تامر)

- علشان كده مش عايزة أجوزها – نفعاني والله – (أمي)

- وأختها عزيزة (أم تامر)

- دي ممنهاش فايدة، معهاش غير المراية وتسريح شعرها وتلوينه وتقلع وتلبس وتلون ضوافرها، هيء هيء هيء هيء، زي بنات اليومين دول (أمي)

- خليها تتجوز (أم تامر)

- كلام أمي طبطبة على قلبي – القلب الموجوع يؤلمه من يلمسه – الضغط على نبضه – التحسيس – آه منك يا أمي – ممكن أنانية – بقى عايزاني أعنس جنبك وأخواتي بيتخطبوا واحدة ورا التانية عشان مصلحتك.. ويقولون إن الأم بؤرة حنان ونكشت شعري ورفعت حاجبي ورددت حتى

يتحول صوتي فحيح ثعبان يريد أن يبصق سمه، دا حنان دا، دا حنان، قال دي أم، فين الأمومة فين!، ولا أعرف من أين جاءتني تلك الملامح الطفولية ولم لا تريد أن تغادرني وأنا ابنة التسعة عشر أنهيت الدبلوم منذ عامين ست بيت كما يقولون وله بشتغل وله بخرج وله بدخل، غير عند القرايب والقرايب عقارب من تحت لتحت يرموا الكلام الوحش البجح البذيء، بقى عمتي تقول قدامي وأمي تضحك وتزف الخبر لوالدي لأختي أماني مبروك ابن عمتك خطبك.. حتى أنت يا أماني

هي أماني أكبر وله سمية (عمتي)

(بلهفتي وحرقتي) أنا أكبر يا عمتي – أنا – والله

- ها ها ها – برضوا كده يا بت – عايزة تكبري نفسك (العمة)

- لا فعلاً هي أكبر من أماني بأربع سنوات (الأم)

- معقولة (العمة)

- على العموم أنا كدة أكبر من ابنك أكرم بستة أشهر (أنا)

- دا أنتي عجوزة بقي – ها ها ها (عمتي)

- مش باين عليكي يا قردة (جوز عمتي)

- هي نقصاك أنت كمان (أنا بس بدون صوت)

تامر ابن أم تامر أصر على أن يتزوجني، أم تامر قالت: قصيرة يا ولدي.. لو كانت أطول زي أختها عزيزة.. القصر يجيب الفقر في البيت (الأم كما تناقلته الألسنة حتى وصل إلى سمعي)

- قصيرة إيه يا أمي دي عز الطلب (تامر كما قاله لي في جلسة الوئام بيني وبينه وكأنه يمن عليّ رغم عيوبي)

كان الصراع على أشده بين أمي وأبي وإخوتي.

- لكن هو مش كان عايز أماني (أبي)

- لا أختك بتتكلم براحتها (أمي)

- يعني هي سمية متقدملها تامر مفروض تسيب أكرم لصاحبة النصيب (أختي أماني)

- ها ها ها ها (أنا)

- ويجب أن أقول هيء هيء هيء

- يا عجايب الزمن (أختي عزيزة)

- مالك يا لئيمة (أنا بس بعنيه ومن غير صوت)

- أختك دي كانت غايبة عني فين (خطيب عزيزة)

- أففف (عزيزة)

- هيء هيء هيء هيء (أنا)

- أنت بتقول إيه، دا لا يمكن يحصل (أبي محدثاً خطيب عزيزة)

- شفتي يا ماما شفتي (عزيزة)

- معلش يا بنتي (أمي)

- قسمة ونصيب (أنا)

- ما الذي فعلته بأهلي حتى يعاقبونني، بقه يا عزيزة تتفقي مع أماني وتأكلوني سم فران (أنا)

- معش، الغيرة يا بنتي أكلتهم (أمي – أبي)

- خلاص؛ الكل مرفوض (أبي)

- ها ها ها ها؛ أحسن (أنا)

وبعد أن تورمت قدماي من المسامير التي دخلت قدمي وأنا أجري فوق السطوح من مطاردة عزيزة وأماني وبعد أن عادتا عزيزة وأماني طفلتان أعلمهما الحب على طريقتي، كبرت أنا أكثر من اللازم؛ حتى بعد أن تزوجتا وصار الشيب في رأسي ملهاة لأطفالهما.

****

فتاة القرية

الحوار الذي تحول أمامي محاولة إثبات الرأي بطريقة صاخبة ورغم انصرافي إلى حجرتي الخاصة إلا أن الصوت المتناثر كلماته طرق باب الحجرة ذلك الحوار الذي أشعرني باهتمام الكل بي الأب والعمة والأخ والأخت والخالة والخال أقارب الأقارب وأحباب الأحبة وأصدقاء الأصدقاء كل هذا من أجلي من أجل نفيسة ثم قلت لنفسي نفيسة؟! إنه محرج رأيت ذلك في اللهفة التي نطق بها اسمي هذا الذي كان زميلاً فإذ به يتحول صاحباً فحبيباً وإن حاول أن ينفي ما قاله حتى في أيام التعارف الأولى حول لهجتي القروية وازدرائه لبعض سلوكي وثقافتي بالرغم من إعجابه بتلقائيتي وعفويتي إعجابه الذي تحول بفعل التعود واللقاء اليومي إلى حالة من الوجد والسلام والمودة، أبي الآن يذكر مساوئه عرفتها قبلك يا أبي؛ نعم هو كذلك بل أكثر من الذي تعرفه، أقول لك يا أبي عن مساوئه الخفية وحيث أنك تحدث عمتي حتى النهار فهذا يعني أنني أرتاب منه هذا يعني أن قلبي يحن الآن إلى حبيب النهار هراس الذي جعلني في عينيك مثالاً للصبية المجدة المطيعة كم مرة ساهم معي بساعديه القويتين مساعدة الأخ لأخته بل الأب لبنته حتى كنت أعود محملة بأجولة من الحصاد لإطعام الغنم والجاموسة ووليدها الذي يرضع منها ليل نهار، فرحت بي أكثر من ابنك الذي ضربه

شلل الأطفال فأصبح قليل القدرة على العمل وهذا ما جعلك تراني عوضاً عنه.. البنت بميت راجل.. نعم، لكن الرجل الذي يحمل عني ويزودني بكل شبابه وحيويته حتى تراني هكذا.. هو هناك لف على رأسه عمامة الصنعة الجديدة التي ورثها من أسرته؛ زمار في الموالد في الأفراح في المناسبات؛ زمار تنتفخ وجنتيه كقربتا ماء ثم تنفجران بالعزف طرباً وألماً وحباً وحلماً؛ أين هو الآن يا أبي بعد أن رفضته وما زلت ترفضه؛ أليس هذا ابن القرية التي تربيت جواره وتعلمت منه الإشراق كل صباح؛ حرمته يا أبي! حرمتني! الأصل.. الحسب.. النسب.. لكن أنا أيضاً الآن فقط لو جاء مرة ثانية لخطبتي لقلت لا؛ لا فقط لأن الليل بدأ يملأ السماء؛ النجوم والقمر وأضواء المدينة المزركشة وحفلات السمر والليل وأكل الآيس كريم والفشار في قراطيس ورقية ملونة ثم الألعاب النارية ومغازلة الألسن للأجساد التي ترتدي الجينز والجيب القصيرة، لا تنتهي إلا بالعبور إلى شلة أخرى ..فأخرى؛ هكذا تتغير الألسنة لكن لا تتغير الأحاسيس.. الإفيهات.. والأكلاشيهات الجسدية.. لذا لن أقبل هراس لو تقدم الآن وأنا أعشق ذلك الوطواط الذي أغمض عيني وطار بي في الظلمات كأنه بحار في الدروب لا يقع مهارة في اكتشاف المشكلات قبل أن تظهر فصاحة في إيضاحها ومغامرة في تخطي تلك العقبات كل ليلة حينما يستلني كمدلية زاهية ينقلها بين أصابعه وأنا معه منساقة من باب حجرتي ثم من باب الشقة حين تغط عمتي في نوم عميق بعد أن تناولت جرعة الدواء فأرخى

أعصابها بينما تشخص مذكراتي وكتبي الجامعية تنتظر العائدة بعد الساعة الثانية عشر مساء لتنفض عنها قلق الانتظار وتفتحها تتصفح وتقرأ بصوت عالٍ جداً كأنها تريد أن توقظ عمتها كأنها تريد أن تؤكد أنها ما ذالت موجودة ولم تخرج لكي تعد هي موجودة منذ نامت وحتى تستيقظ لتعد لها الإفطار وتطمئن على صحتها، هذا ما قالته العمة للأب والله البنت مونساني، مؤدبة ولا بتخرج وله بتدخل من الكلية للمنزل ثم تستطرد ضاحكة أم أنت مستعجل لعودتها لكي تساعدك في جمع البذور والثمار وإطعام الأغنام والجاموسة التي ما أحضرت لي حتى زجاجة لبن أو كيلو سمنة بلدي يا راجل ثم أبي الذي جمع تحويشة الكلام عن الظروف والضغوط والالتزامات ومصاريف الدراسة التي يتكبدها خلال الترم الأول والثاني وهي لا تدري أنه يحرم باقي الأسرة من حليب الجاموسة من أجل بيعه وتحويله في حوالة بريدية إلى نفيسة حتى تصبح نفيسة العلم فلا تخبئ شيئاً يا أختي؛ هل هي فعلاً نفيسة العلم؟ وزعق أبي وكان صوته مثل التأنيب لعمتي التي توفي زوجها وغادر ولدها الوحيد إلى دول الخليج تاركاً لها شقة أبيه ترسل له الخطابات ليعود لها وينجب لها أطفالاً يلعبون حولها وينسونها الأيام التي تطول كلما بدا الليل ولم تنم كما كانت تنام في طفولتها القروية، من أجل عمتي كنت خائفة من هذا المستقبل خائفة من زوج يغادرني بالموت وابن يغادرني بحثاً عن الرزق، تلك الليلة التي قرر فيها أبي حرماني من إكمال دراستي الجامعية، تلك الليلة التي ما استطعت

صبراً على ما اعتدت عليه لقاء هيثم ابن مدير البنك وعندما أخفقت في الخروج أدخلته حجرتي وأغلقت عليه الباب تلك الليلة التي أخذ أول قبلة مني وأنا راغبة فيها أمده بها وأتمنى ألا ينهيها حتى يأتي الإشراق فأتملص من شفتيه متأملة هراس الذي طار بساعديه الديناصوريين وجلبني له تحت شجرة الصنت وترعة الزراعة تمرق بين عيوننا ولهاثنا وضحكنا والبط يلتقط بمحبة ثمر الجميز الذي ملأنا به صفحة الماء، لكن أبي الذي لم ينل إلا دقيقة صدمة تبعتها دقيقة، مقاومة قتال حتى قفز هيثم من شباب حجرتي بالطابق الثاني ولم يقف رغم أصابته البالغة بل جرى وجرى حتى تركني وحدي وأبي وعمتي تبكي نادمة على حسن ظنها بي، هذا الإجراء هو الوحيد الذي ما قدرت على الإفلات من قسوته إلا أنني في القرية وفي كل ظهيرة أعود محملة بأضعاف ما كنت أحمله من بذور وحشائش وحصاد وبدون مساعدة من هراس.

****

الجارة

وفي نفسها قالت أم أحمد أبو أحمد كسول رجل لا يهمه إلا أن يأكل الخبز الشمس الطازج لكن أن يسقف بيته بالصاج قبل أن يبني الفرن الإسمنتية لزوجته كما إنها مخلصة في تقليب العجين بيديها القويتين ونقل الخبز المقرص من مكان لمكان لكن كيف يحتمل السقف المصنوع من خشب الحبيبي امرأة تزن خمسة وثمانون كيلو وفرنها وعجينها وحركتها الدائمة وطفل يحبو جوارها ما كان عليها أن تطيعه وترضى ببناء الفرن فوق السطح وإن كان المنزل ضيقاً ولا يتسع لخمسة أطفال بنات وأولاد وفي أعمار مختلفة، أم أحمد مكسورة مجبرة وأنا يجب أن أواسيها كأي جارة صالحة تفصل لي ملابسي وأبنائي بمقابل زهيد كما أنني في حالة نقص أي صنف من الخضار مثل الثوم والبصل أو الليمون تذهب بنتي عزة وتقول لها:

- لمونة لأمي يا خالتي
- خذي
- معلش أمي بتستسمحك في بصلة علشان التقلية
- مفيش فص توم – السمك على النار – بس ناقص فص توم يا خالتي
- خدي يا بنتي خدي

في حوار الفضائح الذي جرى بين أم أحمد وأم عزة في وقت لاحق وأثناء المعايرة قالت أم أحمد:

- إزاي يعني السمك على النار! هو التوم بيتحشي في السمك بعد السمك ما يتحط في الزيت! دي معقولة دي! بلاش كذب يا استغلاليين.

تظل أم عزة صاحبة الواجب في حديثها إلى نفسها وهي تمص شفاهها متحسرة على جارتها التي أصبحت قطعة جبس ترقد على السرير الناموسية وحولها أبناؤها يلعبون بمساعدتها وتقمص دور المسؤولية لو اعترضت على شغبهم يذلونها بخدماتهم العاجزة عن أداءها وهي محاطة بالجبس في أطرافها قدمين وساعدين وحول الرقبة فتزعن وهكذا قال أحمد فرحاً: يا رب ما تخفي يا أمي! مما أطلق جردل الدموع يجري من العيون على الخدود على الصدر وعلى الأكتاف التي اقترب منها الجبس الأبيض المكتوب عليه: ربنا يشفيكي يا أمي؛ يا خالتي شدة وتزول؛ أختك سعاد تتمنى لك الشفاء؛ زوجك الحبيب مشتاق لرؤية يديك البضتين؛ يحتاج إلى ربتتك وقرأ الناس والأهل الكلمات والإهداءات كنوع من التسلية المؤقتة وهم يشربون العصير المثلج في زياراتهم للمكسورة الجسد والخاطر أم أحمد قبل أن يتركوا عطاءاتهم الواجبة في مثل تلك الأحداث نقود مكورة ومكرمشة أو مفرودة لكي يؤكد العاطي قيمة ما أعطى والعطاء سلف ودين اليوم عندك وغداً عندي أما أم عزة فقد قررت بعد فترة من التفكير أن تزور أم أحمد

بكيس به كيلو سكر وكيلو أرز وورقتين شاي العروسة زنة 40 جرام وهكذا تكون أدت الواجب وزيادة فهي لم تمرض قط وعندما نجحت ابنتها في الإعدادية لم تحضر لها إلا ستة علب عصير كوكتيل كرتون أبو شفاط وهذا ما زاد الطين بلة في جلسة المعايرة تقول أم أحمد يعني يا ناس يرضيكم وهي مذهولة من أفعال الناس والجيران اللي لا يتمر فيهم المعروف أفك كيلو الأرز ألاقيه ناقص ياجي الربع وزيادة.. هو اسمه إيه دا وحركت ذراعها التي تم شفاءها تماماً مؤكدة إنها قادرة ومش مسكينة ولا حاجة وبعد فترة من الصمت الذي يعبر عن صدمة عارضة أكمل تام أحمد: على إيه يا ست: دا حتى أرز تموين؛ أنا أديته للحمام والله معلش تقول أم صباح مرات كرم بياع الصوبية والعرقسوس: الناس لبعضيها سر وغطا؛ بلاش فضايح يا ست الكل يا أصيلة؛ انشكحت أم أحمد وبلعت ريقها فأصابتها الزوغطة فرمقت أم صباح من تحت لتحت: اللي عارفة السر والأسرار، لم يكن السر الدفين يعرفه إلا أبو أحمد وأم عزة التي استجارت به في يوم من الأيام وقرر أن يجيب طلبها بالموافقة على ألا يصل هذا السر إلا للمأذون والاثنين شهود ولأجل محدد هي تعلمه وهولا قررت اكتفاءها منه أبو أولادها بعدما نسي انه كان يفعل معروفاً وكاد أن يرفض تطليقها وادعى أمام أصحابه أنها خدعته.. حسب أنها تتحايل للزواج منه وبشكل دائم محبة فيه لا أن تستخدمه في هدم الموانع الشرعية بين زوجها الأول أبو

عزة والذي أغضبه الكثير منها في أيام سابقة فطلقها المرة تلو المرة فصارت مضطرة للعودة ثانية ولم تجد مغفلاً صالحاً لهذا الغرض إلا أبو أحمد، أبو عزة لم يعرف حتى تاريخه من زوجها الذي تزوجته عليه ولأنها أكدت له بكل حب وحنان وإخلاص واهتمام إنه هو فقط رجلها وأنها إن فعلت وجلبت رجلاً محللاً له لا أكثر وهذا جعله يتناسى غيرته الفجة وعصبيته الطاعنة في كل شيء، في جلسة المعايرة والفضائح عارية تحدثت هي وأصبحت شخصية مستقلة لها صوت ولها عين ولها أذن ولها يد تبطش ولها أقدام نهرول، الفضائح تجمعت وتضخمت كوحش هاجمت الحاضرين عندما كشف المستور وباب المستخبي فأعربت عن شكوكها ثم أكدت أن السيدة أم أحمد لم تقع بعجينها وطفلها الرضيع من فوق السطوح قضاء وقدر بل أن الخشب الحبيبي مسنود بعروق خشبية متينة وكان لا بد أن تكون هناك يد تدخلت ونشرت العروق حتى أصبحت آيلة للكسر، وهناك دليل واثنان على ذلك وظلت الشكوك تحوم حول زوج أم عزة انتقاما منها، أم عزة نفسها بمساعدة ابنتها والتي كثيراً ما أعطتها مفتاح المنزل لتطعم دجاجها وبطها في الأوقات التي تسافر هي وزوجها وأولادها إلى قرية الأم، فلربما استنسخت مفتاحاً ودخلت في يوم كان الجميع بالخارج ونشرت العرق والتالي حتى اقترب السقوط ويبدو أن الفضائح طالت البنت عزة التي جاءها الحيض منذ سنتين على الأكثر والفتى تامر الذي غلظ صوته وقد رأوه خارجاً مسرعاً من السلم المؤدي إلى سطوح منزل أم عزة،

حتى قيل أن أبو عزة يخاف أن يتكلم ويتشاجر لأنه عرف أخيراً أن أبو أحمد تزوج من زوجته وقيل أن هذا كان بعلم منه واستحسان، وقيل أنه حدث ما هو أفظع ورأته أم عزة لكن لأنها فعلت فعلتها ونشرت عرق الخشب الذي تسبب في سقوط أم أحمد وهي جالسة تعجن الخبز في عجانيتها الألومنيوم الواسعة فإذ بها تجد نفسها جالسة ولكن على بلاط الطابق الأرضي وفي الصالة عموديا ورأت الغبار والتراب والضجيج والشمس ساطعة، تلك التي اختفت عن الظهور في تلك الصالة منذ سنوات صناعتهم لسقف من خشب الحبيبي والعروق الخشبية المتينة ولم تكن الفضائح غلا أن يصيبها الوهن عندما تدخل النسيان والمعارف وتلاهي أكل العيش فماتت وإن لم يمت الخوف وحساب الآخر عندما تم الصلح والوئام والسيدة أم عزة تلبس بنطالاً تحت الجلابية لكي وهي تملأ من عند أم أحمد بستلة المياه ليستحم زوجها ولتغسل غسيلها بعد أن أبلغتها المعايرة بالعيب الغير مرصود منها وأبلغها أن أم أحمد وزوجها يتغامزان يومياً لأنها تأتي لهم صباحاً لتملأ بستلة المياه مرتدية فوق قميص النوم روب شفاف يجعل أبو أحمد لا يترك الصالة وهو يجر الكلام جملة وراء جملة مع أم عزة تلك التي قال عليها ولسان الفضائح كلسان الحرباء يصطاد قمل الزمن وروث الأحلام لوكنت يا ست أم عزة مربية بنتك مكانتش عملت كده مع ولدنا لكن حضرتك مش فاضية ونظر لها النظرة التي جعلتها ترتبك وجعلته يتحصر ويتألم غيظاً وشبقاً لا تهتمي إلا بأبو عزة

تدلعيه وتهشكيه وتلبسيلوا وتقلعيلوا وهو مشتعل وهائج لغاية منسيتي بنتك وتربيتها وفي نفسها قالت أم أحمد أم عزة غلبانة على كد حالها يعني هي معاها إيه علشان ترد الجمايل وقبلتها قبلتين واحدة عن خدها الأيسر والأخرى عن خدها الأيمن وهي تحاول إثناؤها عن وضع الشنطة البلاستيكية تحت السرير الذي ترقد عليه أم أحمد وتحتوي كيس السكر وكيس الأرز وورقتين شاي العروسة زنة **40** جرام.

****

حكاية جدتي فايزة

الجدة فايزة منصتة دائماً للشكوى التي تأتي لها مصحوبة بدموع مرة أمي ومرة أختي امتثال، الجدة فايزة تتحرك أصابعها في مسبحتها التي جلبتها من أراضي الحجاز تذكر هي دائماً وتسرد تفاصيل الرحلة المباركة كلما غرس الصمت أنيابه من الوحدة التي تعيشها بعد موت ابنها الوحيد بأراضي الحجاز المرة الأخيرة رأته فيها كان يزور الأماكن المقدسة وكان ينتظرها بالمطار ثم عادت هي ولم يعد هو ودام التراسل بينهما حتى فقدته تماماً وعاد لها جثة خرساء تحاول أن تسمعها ولو كلمة واحدة إلا أنها انزلقت بفعل حاملي النعش المسرعين بجثمانه إلى مدافن القرية، وهكذا تجلس الجدة فايزة وتسن قوانين الحوار وتبشر أختي امتثال بالخير وزوال الغمة بعد أن أفهمتها أن سنة الحياة واجبة النفاذ إن العزلة موت متحرك في حجرة وصالة ومطبخ وحمام، صدقيني يا حفيدتي وتشاركها الأنين والبكاء مرة وتمسح دموعها بمنديل قماش ثم تحاول أن تثنيها أو تثبط عزيمتها المتمردة للهرب إلى بلاد لا يوجد فيها أب أو أم، لكن أنا متعاطف مع أختي فقضيتها هي قضيتي، كيف أتزوج وأنا أسمع أمي تقول لأبي بعد أن يدب الشجار العنيف المتواثب الشتائم وقذائف الغضب والكراهية ومقت العيشة:

- مخلاص

- خلصت الأرواح (أبي بصوته الزاعق)

ثم يقذفها بما تطاله يده، مرة كوب ماء ممتلئ فيغرق طرحتها ووجهها وجلبابها فيمتزج شهيقها وبكاءها ومطر الغضب الذي أرسله أبي مصاحباً شتائمه المعتادة ورزاز البصاق..

- مخلاص (أبي)

- خلصت الأرواح (أمي)

هذا التغيير طرأ منذ أشهر قليلة عندما كشفت أمي أبي وهو يلعب بإصبعه الوسطى في بظر طفلة تشتري منه لبان حمادة ومشط كبريت وثلاث سجائر فرط لأبيها محمدي سائق السيارة الأجرة **7** راكب ومنذ وقتها – تهاجمه؛ وهو يدافع..

- مخلاص

- فترد هي: خلصت الأرواح

انقلب الهجوم، لم تعد أمي تغلق عليها باب الحجرة من مطاردة أبي لها أثناء العراك الزواجي، هذا لا ينفي أن الدنيا أخذ وعطاء، وهذا لا يمنع أن أبي أسد عجوز وسوف ينقض عليها في يوم من الأيام، وهذا ما توقعته أنا وأختي امتثال وحدث بالفعل وتقولبت أمي في الجبس ثلاثة أشهر بعد أن زقها فوقعت من سطح المنزل لكن جدتي تقول لأختي: يا بنتي؛ الناس اتغيرت،

مش كل الرجالة زي أبوكي ولا كل الحريم زي أمك وكمان أمك مستفزة؛ عنيدة؛ مش بتاخد جوزها على هواه؛ أنا نصحتها كتير؛ هما كدة ناقر ونقير؛ ممكن علشان فرق السن وتذكرت جدتي فايزة ما حدث معها بخصوص فرق السن وأنها كانت الأولى بزواجها من أبي حيث رفضت أمه فاطمة تزويجه من بنت خالته قائلة يا بني دي أكبر منك: والله يا بنتي ما كنت أكبر ولا حاجة وتمصّ شفاهها وتزوجت جدتي فايزة من جدي بكري وأنجبت أمي وتزوج أبي مرة وثانية وطلقهما سوياً حتى كبرت أمي وصارت ابنة الثالثة عشر فتقدم أبي وقبلوا زواجه من أمي لأنه كسيب بيسافر هنا وهناك وبيرجع جيبه عمران وهو البالغ من العمر **38** عاماً، لم تعد امتثال بالشكوى بعد أن أصبحت زوجة ابن عمي لكن أنا التي عدت فلم أجد جدتي فايزة لموتها ولم أجد أمامي إلا أختي أقول لها في سماعة الهاتف شكواي الدامعة.." أتؤنبينني يا امتثال على رضوخي وقبولي بالزواج من عويس الذي يعمل في شركة الكهرباء ابن خالة أمي كان مقارباً لعمرها وصاحبها في الجري في الحقول والسباق فيمن يملأ شيكارة السبغ البلاستيكية قبل الآخر بالحشائش النابتة بين أعواد القصب المنتصب ويعود إلى المنزل وكان حظه أن رفضت خالتي نعمات أن يتزوج من أمي قائلة له: دي أكبر منك يا بني، لذا قررت أمي أن تقبله الآن زوجاً لابنتها الصغرى بعد أن تزوجت امتثال وأنا عن نفسي رأيت فيه فرصة للانتصار

على ما كان يحدث مع أمي من أبي وهو الذي عمره **42** عاماً بينما أنا لم أتجاوز السبعة عشر عاماً لكن أقسم بالله لن أتركه يهينني ولو اضطررت إلى قتله"..

- مخلاص (عويس)
- أنا تقولي مخلاص؛ مش كفاية أخدتك عجوز ومطلق مرتين (أنا)
- الموضوع مش مستاهل يا أم الولاد (عويس)
- لا مستاهل ونص (أنا)
- مخلاص (عويس بغضب مخنوق ووهن)
- خلصت الأرواح (أنا بحدة وتشفي)

****

الجريمة

بصفتي بنت أعرف أن عمتي أخطأت؛ لو كانت عمتي مظلومة فأنا مظلومة، أنا فتاة؛ عمتي متزوجة؛ أنا من حقي؛ عمتي لا؛ لكن عمتي محرومة؛ زوجها مدمن؛ عمتي لا تسمع الكلمات التي تسمعها الروح؛ لا يجلب لها الأمان؛ لا يدخلها الدفء؛ عمتي قاسية هي السبب؛ لو أن زوج عمتي مقصر لطلبت الطلاق؛ عمتي جشعة؛ شهوانية؛ تريد أكثر مما تعطي؛ تشتكي قلة الاهتمام مرة؛ قلة المال مرة أخرى؛ هدايا؛ هي تريد أن تجلب لنفسها اهتماماً من نوع خاص؛ أنا لا؛ أحب فقط.. هو يرعاني.. هو متزوج لكن لديه امرأة بكماء.. تتكلم لكن خرساء.. تسمع لكن لا تستجيب لهمسه.. لحزنه.. تهجره بالأيام وتعود له لتزيده توتراً حيرة نقمة هو معذور لكن زوج عمتي غير معذور.. لماذا يدخن بشراهة؟ حاول مرة أن يتحرش بي ألا تعجبه عمتي؟ لكنه اعتذر لي ذاكراً لي أنه في حالة سيئة ويحاول أن يضحك قال لي أن الهزل لا يعني شيئاً! سامحته.. لكن أبي لا يريد أن يسامح عمتي لأن عمتي أخطأت خطأ جسيماً هي حتى عندما عرف زوجها رماها عند منزل أبيها طلقها لينتهي الأمر ورمى معها سنوات الزواج الطويلة رمى ابنه وابنتيه ورمى لها ثلاجتها وبوتجازها وكثير من ملابسها التي ظنها تحمل دود الرجس وقال أنا طاهر بينما يترنح وهو يزداد سكراً وهواجسه لا تخرج من عينيه

هذا زوج عمتي التعيس اللامبالي أو الذي يبالي لمدة خمس دقائق هي التي يكون فيها مفعول الخمر تلاشي ثم يعود له الوعي الكامل السكر الكامل غشاء من الصمت والهزل والكلام الذي أصبح لا يضيف إلا الحيرة والخوف والموت هذا زوج عمتي أما عمتي فهي أخت أبي وهذا تعريفٌ إضافيٌّ فدائماً العمة أخت الأب لكن تلك المرة أصبحت عمتي الجريمة وأبي العقاب، الجريمة نشرت فضائحها في العائلة عن طريق الإذعان ثم الرفض مما جعل الجريمة الأخرى تتحدى وقالت لها بإصرار وتعنت إما أن تستجيبي وترضخي وإما أن أنشر صورك وفيديوهاتك على صفحات التواصل الاجتماعي مما حدا بالجريمة الأولى أن تقول: لا و لا و لا و لا، هذا من باب التحدي ربما، ربما تذكرت أنه من الواجب أن تقول لا ولو مرة واحدة فقالتها لكي تقفز على محتواها ولكن كيف يتركها المحتوى السيئ تنسى وتتلاشى وقف شاهراً عزيمته وقال بإنكاره واستحواذه وتسلطه: أنا أتلاشى.. المحتوى السيئ يصبح كالعدم فجأة هكذا! والله العظيم لأفضحك (فضيحة المطهر يوم طلوعه على المعاش) في المواقع الإباحية رأى الأخ والأب والعم ورأيت أنا بعدهم مثلهم لطمت على خدي مثلهم صرخت مثلهم أغمضت عيني وفتحتها على اتساعها لأتأكد لأرفض ما ظننته خدعة تشابه هل هذه عمتي؟ نعم عمتك.. قالها أبي.. بعده أمي.. بعدها أخي.. وهكذا آل الحال؛ إذ أنه من الواجب أن تذهب مع عمتي وزوجته إلى هناك وهناك القطار الذي فرض عليها أن تُلقى منه وهو يسير فهل ماتت عمتي؟

عادت سالمة وكأن الجريمة تنتظر العقاب! لكن العقاب كان صامتاً ظل متألماً وشاخصاً يفكر فيما يمكن أن يفعله لو لم تمت بالقطار لو لم تمت هناك في بيت الأب عليه بصفته الأخ الأكبر أن يجيء بها إلى بيته ضيفة ولمدة ساعات قليلة يمنح الجسد عقوبته الصارمة، كانت تنام هنا على تلك الأريكة منعزلة عن باقي الإخوة، أبي يتحدث مع أمي، وأمي تتحدث مع أبنائها، وأنا أحاول اللجوء إلى عزلة عمتي لعلي أنقذ الألم قبل أن يتجلط أريدها تصرخ تبكي تطلب الصفح، لكن عمتي التي أصبحت كومة من السواد تطل منها أشعة عينين لا تنفعلان إلا لحركة أبي في البيت التي بعد أن أكلت الطعام من يديه بعد أن قدم لها بكل قسوة طعام الموت تركها تنام تركها تحمل حقيبتها لتعود لبيت الأسرة لكن بعد ساعات وبعد أن تأكد من تلك الساعات قال: إنهم يتصلون هيا بنا ندفن الجثة!

****

مقابل

أرتل أمام زوجتي أسمى آيات الحب والإخلاص.. أصفها بكل ما هو جميل.. أحفزها حتى ترضى وتخرج من ميزانية البيت ثمن علبة السجائر.. أرسل ابني مقبلاً خده اليمين مرة واليسار مرتان حتى يسرع ويبحث في جميع المحلات.. لو وجد أم عبير ليس لديها.. يذهب إلى كشك الحاجة فوقية.. يليه عماد الفلاح.. وبعد ذلك يمشي حتى إن تعب يجلس ويقوم سريعاً متذكراً القبلة التي على خده اليمين والقبلتين اللتين على خده اليسار.. فما دمت راضياً عنه فسوف يعود حاملاً علبة السجائر والباقي يشتري به لنفسه علبة الكبسول ليحشو بها مسدسه.. ثم يطلق الأعيرة الصوتية.. طاخ.. طوخ.. حتى تتشاجر أخته عزة معه شجاراً عنيفاً أكون وقتها قد أنهيت السيجارة الأولى والمزاج عال العال.. لا يهمني تحريض زوجتي على ضرب ابني ولا بكاء ابنتي عزة.. وكل ما أقوله العبوا مع بعض.. أخوات.. أخوات.. جدعان.. يا ولاد.. ثم أصعد أعلى المنزل.. أجلس وحدي منفرداً ومتأنس بعلبة السجائر.. عدد **19** سيجارة بإذن الله.. لن أنزل من فوق السطوح إلا وهي ميتة.. جسد بلا روح.. علبة من الخارج لا تحوي داخلها إلا عبق الدخان المكتوم.

ميعاد السيجارة الأولى يجب أن يكون الآن.. والآن طال أكثر من اللازم.. وصار انتظاري توتراً يضاعف من تشنجاتي وأنا أعاتب زوجتي على تأخر ابنها حتى توافق على إرسال ابنتي عزة وراء أخيها.. المهم يأتيان سريعاً يحملان بين أياديهما الصغيرة علبة السجائر البيضاء.. مرت فترة من الزمن عصيبة.. وافقت بعدها زوجتي وهي ممتعضة.. إلا أنني ورغم أنني لا أرى كيف تنظر لي إلا أنني أشعر أنها تحاول أن تعترض على قضاء الله.. على العمى الذي أصاب عينيّ نتيجة حزن شديد أصابني منذ عامين.. وها أنا أنتظر سعادة تبدد الحزن والعمى.. يعود لي بصري.. وأحمل عن زوجتي تحمل المسؤولية.. لكن وأنا على هذا الحال لا يمكن لها أن تعترض على طلباتي المتواضعة.. علبة سجائر أشتريها عصراً وأقضي عليها ليلاً.. أنام حتى يأتي المساء الثاني.. أستيقظ على رغبتي الملحة في علبة سجائر ثانية.. وهكذا تمر الأيام.. إلا أن هذا اليوم يبدو في الأفق مرعب.. فكما لم يعد ابني من مهمته المنزلية.. لم تعد عزة وطال الانتظار.. حتى اضطرت زوجتي إلى سحبي من يدي وإغلاق المنزل والسعي سوياً.. نسأل المحل تلو المحل.. عن طفل عمره **7** سنوات وطفلة عمرها **9** سنوات.. حتى تاريخه لم يعد بصري وحتى تاريخه لم تعد علبة السجائر ولا ابني ولا ابنتي ولا أعرف متى يمكنني أن أطلب دون خجل من زوجتي ومن مصروف المنزل علبة سجائر أدخنها بشراهة..

حتى أقضي على الشراسة المبتذلة داخلي.. أعصابي الممزقة.. يعود ابني أولاً يعود.. تعود عزة أو لا تعود.

تعلمت السرقة بعد أن صار الخجل من صراخ زوجتي في وجهي.." ألا يكفي أنك كنت السبب في ضياع أطفالي "، وإن كنت بدأت بزوجتي... فالآن أنا لص المساجد... لص المواصلات المزدحمة... ولا أحد يستطيع أن يسحب يدي من جيبه.. أو يرد لي طلباً.. ومن حاول منعي.. لقي من المجتمع المحيط ثورة وغضب جم.. حتى ينصروا الرجل المسن.. صاحب البصر المفقود.. والابن والابنة الضائعين.

****

كان لي أهل

قلت لأبي: لا بد أن أذهب معك، عند خالتي أم الخير فهي تراني في صورة أمي، إن كنت عدت من عندها خائباً تبوح لنا بسخطك.. بشحها.. بنكرانها لجميل صنيعك معها ومع زوجها؛ حتى حدث ما حدث؛ وأراد الله لهما أن يرثى الأرض ومن عليها؛ فصارا ملاك مصانع ورش ومحلات ومزارع بنجر ومشاتل عنب ومصارف ومزارع سمكية؛ حتى لم يتذكرا يوماً من الأيام كنا أهل ولنا عزوة ومعزة.

قال أبي بين الغبطة والنقمة: أتضمن أن تعود سالماً؟! الكلاب التي كنت تهديها لهما من أجل حماية منحتنا القليلة سمنت – تكاثرت – نسيت أيضاً رائحتك؛ لن تتذكر العظمة التي تستعطف الجزار ليتركها لك؛ لن تتذكر إلا أنك غريب لاجئ طامع فيما لدى أسيادها؛ ستعضك الكلاب ستخمشك ستمزق ثيابك؛ حتى تصبح أقبح من شحاذ؛ تشمئز العيون وهي تتابع اللص بين مخالب الكلاب؛ سترفع عجيزتها فرحة بتصفيق خالتك وزوجها وأبنائها: مرحباً بكلابنا العظيمة؛ يقول زوج خالتك: لعنة الله على هذا المتطفل، أما خالتك ستقول: من أنت؟! لا أتذكر أن لي أختاً! وعندما تلح وتصر وتبني لها دلائل المشاهد صور إثباتات الزمن وغوايته؛ ستقول لك: نعم تذكرت ولكن قل لي ماذا تريد؟! ستنظر إلى المرآة التي

أحاطت بالبهو العظيم فترى لصورتك ألف صورة كل تلك الصور تظهر فيها صرخة.. زعقة.. آه.. دمعة.. استغاثة.. شهقة.. زفير لا يريد أن يعود له الشهيق؛ ورغم ذلك انكسارك لن يزيدها إلا نكراناً؛ ربما تتذكر أن لديها عجز في الخدم والحشم؛ لديك من العلم والشباب والأناقة ما يجعلها تطمع فيما تمتلك! تستغلك.. تمنحك القليل من الرزق؛ ستعود لي يا بني بعد أعوام كثيرة! تتحدث مثلهم! تلبس مثلهم! تحلم مثلهم! لكن فيما هو واضح ومؤكد ستكون أنت مسخاً!، أكثر رعباً علي وعلى إخوتك! سنخشى منك أكثر من خشيتنا من خالتك وزوجها وأبنائهما!

لا تسافر.. لا تذهب لكيلا ترجع إلينا بالسم الدفين! أرجوك لا تذهب!

قلت له في ذلك اليوم: إنني ذاهب حتى أمتلك الذهب؛ أبي لا تمنعني، قلت له في أول خطاب: أنت مخطئ فما قلته كله لم يحدث منه شيء! لقد ارتدت أفضل ثيابها وزوج خالتي كان حاضراً بزهوه وجلاله وحكمته؛ جلسنا كلنا على مائدة واحدة؛ لقد شعرت بأبناء خالتي كأنهم إخوتي؛ أرسل أبي رداً واحداً: لا تتعجل الحكم... ليس ما يظهر هو ما يكمن... تمهل.. تمهل يا بني؛ حتى لا تقع ونفتقدك.

في ثاني خطاب قلت: لقد أحببتهم أكثر مما تتخيل يا أبي...؛ يا إخوتي لا أعرف لما لا تصل الخطابات؟! لقد قررت أخيراً أن أعود إلى بلدتي؛ وأحادث أبي وجهاً لوجه؛ لم أجد بلدتي! ضلت مني! لم أجد أبي! قلت لأهل السجلات مكتوب عندكم اسمه! لكنهم بحثوا ولم يجدوه؛ عنوانه لم يستدل عليه

أحد! من أي قرية؟ من أي عائلة؟! ذهبت ودرت وكتبت نداء في الصحف؛ على المواقع الإلكترونية؛ في كل مكان؛ وعلى ألسنة البياعين؛ أجرت منادياً على سيارة نصف نقل؛ أنفقت من مالي الكثير دون أن أستدل على أحد من أهلي! فهل لأحد علم بهذا؟

****

كوابيس سمية

قررت سمية أن تغلق الشباك، قبل أن تنام، لأن الليلة التي لا تغلقه ترى الكابوس اللعين ذاته وتأتي إليها أم يسرية بائعة الملابس البيتي وأدوات التجميل والعطور بنظام التقسيط الشهري، تلك التي تساهم معها بمودة باهظة المجاملة في تفسير ذلك الكابوس، ورغم أن الكابوس لم يتغير إلا أجزاء منه لا تمت بصلة إلى الحدث الرئيسي، إلا أن السيدة المسنة تفسر لها الكابوس بشكل مختلف عن كل مرة حكت فيها حلقة من حلقات الحلم أغلقي الشباك مادام يقهرك بالهواجس ما قالته أم يسرية لتضميد الأرق لم يكن إلا إضافة إلى كوابيسها، منذ أن سقط زوجها ترك على الشباك صرخة لم تنجده دمعة هربت تربت على جثمانه، أشباحه تنفذ اليها في النوم واليقظة، نظرت إلى سقف الحجرة تذكرت المروحة التي تحتاج إلى يد رجل قوية وماهرة لتنزلها من على القايش وتفك الريش ثم تذهب بها إلى محل الصيانة ثم تعود بها بعد التشحيم لتعيد تركيبها أعلى سقف الحجرة، لكن تلك اليد اختفت منذ سنوات، كانت تتذكر اليد وتتذكر أيضا قسوتها، تتذكر الليلة التي رأتها تتشبث بذلك الشباك قبل أن تنطرح أرضاً وتدوي فوقها صرخات متقطعة ثم يأتي التحقيق بأن الحادث قضاء وقدر، فكيف لها أن تفتح الشباك تستمتع بالنسمة الهاربة، المروحة لا تدور ومنظر

سقوط زوجها باقٍ في مخيلتها.. الجو المكتوم.. الذكرى التي جعلت عينها تتحسر على حال المروحة... توقفت منذ فترة..كما تذكرت يده النافعة التي تصلح وترعى تذكرت يده القاسية، كل لقمة بلطمة، كل قبلة بعضة، كل حضن بجلدة، حتى صارت في حالة معادلة مع الحياة، يوم أن مات لم تشعر إلا بأنها متبلدة؛ تائهة؛ بين الحزن والسعادة؛ بين الكره والمحبة؛ بين الخوف والحرية، لكن عيون الأهل طاردتها، الألسنة لاكت سيرتها، وترددت الأقاويل عن السر الغامض في سقوط الرجل القوي من شباك الحجرة بالطابق السادس؛ ثم موته بعد أن سقط على عربة القمامة وقد رأوا فاهه محشواً بشرائح تفاحة حمراء؛ اختلطت بها دماؤه حتى صارت تشبه الفريسكا – لكن هذا لا يمنع أن الأقاويل التي تناثرت عن احتمالية أن تلك الشرائح كانت موجودة بإحدى أكياس القمامة؛ وقد دخلت فاهه حين ارتطم فاتحاً فاهه للاستنجاد بأحد العابرين؛ ربما ينقذه من لطمة الموت، لكن ربما أيضاً تلك التفاحة موضوع فيها مادة مخدرة؛ جعلته دائخاً حتى وقع من الشباك؛ وهو نافر من رؤية المرأة التي أشبعته سخطاً وغيظاً لأنها لا تطيقه؛ ناشز؛ لأنها لا تحبه؛ بليدة؛ لأنها...؛ ولأنها...، الذي قاله أحدهم غير الذي قالته أم الرجل الساقط من أعلى.. حتى وقع في عربة القمامة، فهل عليها الآن إلا أن تغلق الشباك وتنتظر مصيرها القادم، الكابوس رقم (**2**) الذي سيختلف تماما عن الكابوس رقم (**1**) بأجزائه الألف ليلة وليلة،

ستبدأ من الآن مشاهدة زعيقها وهي مستيقظة، ستبدأ من الآن لا تحكي للسيدة نبوية بائعة الملابس بالتقسيط، بعد أن ماتت ميتة مفاجأة، وقد قالت أم حنان المقربة جداً من السيدة نبوية؛ ملخص الحوار الأخير الذي دار بين السيدة نبوية وسمية؛ ربما دست لها السم حتى أن ضابط المباحث قرر إخراج الجثة ليتأكد مما تتداوله الألسنة، إلا أنه لم يجد الجثة! حتى بعد أن ألقي القبض على حفار القبور وأعوانه.. لم ترجع الجثة !؛ لتبرئة السيدة سمية من التهمة.. التي لا زالت تسمع مقابلها الزغاريد؛ والدعوات العالية الأصوات، كلما استيقظت من نومها تجري من كابوسها ليلاً ومن عيون الجيران نهاراً.

****

الدجال

قال الضابط: لماذا تغمض عينيك؟ قلت: لأنني كلما أغمض عيني أجد طارقي فيحدثني وأحدثه يقرأن الخير والشر ويريني مستجدات الأمور وبواطن الكلم، قل لي إذاً أين وجدت القطعة الأثرية فقلت له عندما فتحت عيني وجدتها بعد أن حفرت متراً واحداً بحثاً عن الماسورة المكسورة التي تسببت في طفح المجاري لكن عندما أغمضت عيني قال طارقي بل وجدتها في بيت عكاشة بعد أن طعن عبد المولى جبريل ثلاث طعنات وأخذها ضمن الأموال التي كان يخبئها بعد اختلاسها من خزينة الباشمهندس عزت الذي تقاضاها رشوة من مقاول بناء الإسكان الاجتماعي ويذكر أن وكذلك أن، لكن بماذا تهتم بما أراه وأنا مغمض العين أم وأنا مشرق العين؛ حتى لا أثرثر كثيراً وتوفيراً للوقت والجهد، قال الضابط بحزمه المعتاد قل كل شيء ثم أدار أصابعه حول بعضها مكملاً ربما نستدل بهذا على ذلك وذلك على هذا وهكذا.. وقال الضابط: هكذا وهو يهز رأسه باعتيادية لكن قل لي بصدق هل حفزك طارقك لكي تكون تاجر مخدرات أم تاجر دين قل لي هل كان يؤمن بحرية المواطن أم حرية الوطن وهل كان نخبوياً أم سهلاً بسيطاً، اضطررت أن أجيب الضابط عن كل تلك الأسئلة

سأحكي لك ماذا فعل طارقي من أجلي لقد علمني أشياء لم أتعلمها من غيره لذا فدائماً أراه وأنا مغمض (هذا قبل أن يتحول ذكرى تعيش في عينيّ المغمضتين) مرة ذهبت معه إلى وليمة في إحدى أيام رمضان وكان مكلفاً بقول موعظة بعد الإفطار فذكر أنه من فوائد الصوم تصفية النفس وإضعاف غرائزها وبذلك يستطيع الفرد أن يقي نفسه من شر الوقوع في المعاصي والشهوات فإذ بفاتورة مدون بها قيمة الإفطار الذي تناوله وقد حاول طارقي أن يخرج من جيبه ما يكفي لسداد الفاتورة ثم لم يجد ولن يجد فذلك الإفطار الفندقي لن يستطيع دفعه إلا الأثرياء لذا اضطر أن يسأل بصوت محرج ضعيف:

- وهل كل الموجودين دفعوا قيمة الفاتورة

- فقال له الجرسون: لا.. ولكن أنت تجاوزت،

- ماذا؟ قال طارقي وهو مرتبك ومتعجباً؛ ماذا هو الذي تجاوزته؟ أسألك؟

- فأشار الجرسون لسيدة تجلس في مقعد مبتعد ومرتفع من ضيوف الوليمة..

فذهب إليها يستفسر وعاد مكفهراً، ثم قال باسماً: سبحانه ثم رفع يديه وصوته عالياً حتى ينتبه له الحاضرون إخواني هناك ملاحظة يجب ذكرها إن الإنسان خطاء وخير الخطائين التوابين يجب أن نقبل الضعف الإنساني؛ علينا أن نرضخ ونقبل إشباع حوائجنا ثم نستغفر بعد ذلك؛ فلولا الخطأ ما عرف الصواب؛ إن الشباب يجب عليه أن يخطئ.. ويخطئ.. ويخطئ..

- لمَ؟ أقول لكم لمَ!

حتى لا يهلكنا الله

- نعم! تتعجبون!

- ولكن ألم يقل الله.. إنه الغفور الرحيم.. ولو أن البشر لا يخطئون سوف يهلكهم ويأتي بغيرهم يخطئون فيستغفرون فيغفر لهم إنه الغفور الرحيم..

قولوا: الله

- الله (ردد الحضور) الله

- فقال وقلت: الله

وهكذا عفي طارقي من دفع الفاتورة كما عفي اليوم التالي حتى نهاية الشهر فقد عشنا عالة على موائد الرحمن وكلما وجدنا مائدة عظيمة نسأل عن صاحبها وعن عيوبه ثم يتجنب ذكر تلك الجرائم بل يمجدها أحياناً؛ هذا ما حدث مع الباشمهندس عزت ووليمته العظيمة وقال في موعظته الأعمال بالنيات وتسهيل الإجراءات لا يعني أن هذا هو السبب في فساد المباني ووقوعها المتكرر القضاء والقدر القسمة والنصيب؛ يجب أن نؤمن بكذا ويجب ألا نؤمن بكذا ثم لولا دفع الناس بعضهم لبعض لفسدت الأرض وعزف على إصبعيه السبابة والإبهام لحنَ "طلعلي فلوس" فضحك الحضور لتأويله العجيب لمعنى كلمة دفع، ثم بكى الضابط وهو يربت على كتفي: فعلاً يبدو أننا فقدنا رجلاً من أفضل الرجال؛ رجلاً من أخلص

الرجال؛ وكتب السيد الضابط أنه لم يستدل على المجرم وقيدت الواقعة ضد مجهول بينما يتأمل في القطعة الأثرية ثم وافق على عدم ضمها ضمن إحراز القضية وأعطاها لي مقابل أن أحتفظ بطارقي في عيني كلما يريد أن يستحضره أجيء له بعيني المغمضتين.

****

الرجل والشجرة

وضع رجل قلبه كله في جزع شجرة، منع عنها الموت والتهالك ودفع عنها البلاء وأيدي العامة وطمع الباعة وغشم الصغار وبلطجية الأسواق، يكد اليوم وراء اليوم، ويقضي على حريته بوضع عينه في بؤرة الشجرة ومحيطها يحسها بحنان ويرعاها بالأمان ويستوجدها كلما خفت ظلها أو غام جمالها فاخضرت أوراقها في منتصف الخريف وزغردت عليها الطيور لامعة مهندمة الريش نشيطة الأحوال لا تسأل الرزق إلا دفئاً كبرت الشجرة وتشابكت؛ تفرعت ضفائرها؛ اعتلت سطوح الجيران ومشت أفرعها على ممتلكات الحكومات المتوالية فزارها خبير الأشجار الدولي وقرر تأميمها؛ جعلها عامة للبشرية؛ وقال الرجل والدموع في عينه: كلا؛ تلك أنا فكيف تنزعوني من أصلي تتركوا بعضي يرحل عن باقيه؛ فسجنوه لرفضه المساومة والرضوخ ولأنه لم يقبل وعلى صوته على القانون ومشرعي القانون ومفعليه وكاتبيه وحامليه ومنفذيه ومصوتيه ولاموه العامة والدهماء وحكموا عليه بالإهمال حتى يمكنه أن يخرج من السجن إلا أنه بعد خروجه من السجن واعتكافه حول أسوار الشجرة يحلم بتسلق الأسوار ليرى شجرته التي قصت فروعها العالية التي كادت أن تلتحم والسحاب وتلتطم بأعالي الجبال وناطحات السحاب حتى أنهكت الطير والطائرات واضطرت أمانة رعاية

الشجرة لبيع أفرعها في المزاد الدولي لدولة كذا العظمى ولدولة كذا الوسطى ولدولة كذا بحكم القرعة المزورة لتمرير تجارة عن تراض وقالوا أنه هو مهرب الآثار وحكم عليه بالأشغال الشاقة وقد وجدوا تحت إبطيه رائحة الشجرة فقالوا: أكل ثمارها الثمينة فقال: والله وهو يبكي وقال: والله وهو يصرخ؛ وقال: والله وهو يستنجد؛ لقد أكلت منها أيام زمان وتزورني في نومي فتطعمني لذا فأنا بعض منها وهي بعض مني فقال القاضي ومنفذ القانون: كاذب وابن كاذب؛ قالوا: لو فعلها ثانية لحاكمناه بالإعدام شنقاً؛ فمرت السنوات العشرون وخرج السجين حراً؛ لم يكبر يوماً واحداً عما كان عليه وكأن عمره توقف كأنه أحد فتية أهل الكهف وقد ثبته الله على عمر معين؛ فذهلوا.. ما شأن هذا الشاب! وقالوا: ربما هذا من أثر ثمار الشجرة! لربما هي شجرة الخلد؛ وهذا ما دفع اللصوص الأغنياء – الفقراء يزورا من أجل الخلد كلهم طلبوا تلك الشجرة وثمار الشجرة تصارعوا – تقاتلوا وغلب من غلب ومات من مات وانهزمت الحرب فأحرقت الشجرة.. أغاظتهم النتيجة. دبروا أمرهم.. ليس لنا حيلة غير الرجل.. قد امتص رحيقها. وقرروا أن يزرعوه مكان الشجرة.. دفنوه حياً لعله يثمر مكانها وانتظروا وهو مدفون! وبدأوا يقيمون الولائم وجولات الذكر والمدح وبنوا حوله الصوامع؛ متى يا رجل الشجرة يخرج من صلبك نبات الشجرة؟ ولم يخرج الرجل! ولم تخرج الشجرة!

تفسير

في عام **2100** م قلب محمود المراجع التاريخية واندهش عندما عرف بأزمة سد النهضة.. تداعياتها.. العطش.. الجوع.. موت الـ **110** مليون نسمة عطشاً.. ولما أشار المرجع إلى المحاولات الدؤوبة والغير مثمرة من طرف واحد لإقصاء أثيوبيا عن الالتفاف حول الحقوق التاريخية لمصر في مياه النيل.. انبثقت علامات التعجب على وجه محمود.. حتى سألني كجد ولد في عام **2010** ولا زلت لا أعرف كيف حدث هذا تحديداً.. بل علي ألا أغامر بفضح أسرار التحول الديموغرافي في تلك القارة السوداء..كيف تحول مصر من دولة مصب إلى دولة منبع.. تنجرف المياه من هضبة التل الكبير بالدلتا التي صارت فرعاً واحداً ضخماً كأنه باتساع بحيرة ناصر بأسوان.. ثم قبل أن ينقسم النيل إلى فرعين كبيرين بعد مدينة أسوان بخمسين كيلو متر يسميان بفرع توشكي وفرع الوادي.. هناك أيضاً تغيرت ملامح السد العالي وخزان أسوان.. ولم يعودا إلا جسرين تعبر من تحتهما المياه في سلام وبينهما غابات الأخشاب وقرود تقفز من شجرة إلى شجرة مثل الثمار يتاجر فيها سكان الإقليم.. ولا زلت مندهشاً.. هل فعلاً الخريطة التي بين يدي حقيقة.. لكن إن كانت حقيقة فلمَ لمْ ندرسها في كتب المدرسة من

قبل؟ وهل آن الأوان ليشرح لي حفيدي ما الذي حدث؟ كبرت من مستمع.. متابع ما يحدث أمامي.. أقول لأبي ماذا سيحدث يا أبي بعد ذلك.. ولا أسمع منه غير يا محمود لا تقلق.. فالذي أنزل المطر على هضبة أثيوبيا لن يحرمنا مما آل إلينا عن طريق يديه وكينونته.. أمر الأرض أن تنحدر من هناك.. حيث أدغال أفريقيا إلى الشمال حيث حضارة الفراعنة.. فاستعدت سعادتي وقلت يعني يا أبي لا أقلق.. طبعاً.. وإن كنت شممت رائحة القلق في صوت أبي.. وإن كان أبي يشعر أن عمره اقترب وأنه لن ينال الجفاف منه.. وبعدما تأكد من تقطع أنفاسه.. ومات أبي.. مات جدي الأكبر يا جدي الأصغر.. نعم مات سنة **2020** كنت في العاشرة من عمرك إذاً.. لكن أنا الآن في العاشرة من عمري أيضاً.. وقد أدهشني أن اسمي محمود على اسمك.. وأنا لا أعرف كيف صارت مصر هكذا.. ما الذي جعل الأرض مرتفعة عند الشمال ومنخفضة عند الجنوب.. وما الذي حفز الأمطار أن تسقط بغزارة عجيبة في الشمال حتى أن كثير من السكان هجروا المناطق التي كانت مأهولة بالسكان ليفسحوا المجال للبحيرة الشاسعة.. تتدافع منها السيول حتى تصل إلى السد العملاق المقام قبل القاهرة بقليل.. صارت منطقة الدلتا مزارع سمكية وتماسيح ضخمة حيث أقيمت أكبر بحيرة صناعية في العالم.. تضطر إدارة السد العملاق في حالة ارتفاع منسوب المياه أن تدفع

ببعض الكميات إلى مصب شمالي في البحر المتوسط.. تولد كهرباء شمالاً وجنوباً حيث تم نقل العاصمة بعيداً عن اندفاع المياه.. واستعادت بلاد النوبة مكانتها التاريخية.. حيث اتسعت المدن والزراعات على الخط الطولي الجنوبي.. غير أنني مندهش وجدي مندهش..كيف حدث هذا.. هل هي مؤامرة أنثروبيولوجية لإبادة مجتمعات وخلق دوائر وجودية أخرى، تتحدث الصحف عن حروب من الجانب الأثيوبي.. وحروب بالوكالة للدول التي صدمت بعد التحولات الجغرافية المفزعة لهم.. غير متوقع أن تفعل يد شيطانية هذا الدمار العمار.. فقد كان العطش على مقربة من أن يكون عزرائيل وقد تصورنا أن هذا الشعب المتماسك انتهى إلى الأبد.. غير أن الأحداث التي تلاشت من ذاكرة جدي ولا أعرف لما تلاشت وإن كان قد صار هو بلا ذاكرة فلمَ يتذكر كثيراً من أيام طفولته، أباه وإخوته وأبناءه الذين كبروا بين يديه؟ ثم كيف صار جداً لأحفاد أنا واحد منهم.. غير أن أبي أيضاً لا يذكر شيئاً.. لا يعلم إلا أنه يعمل في وزارة الزراعة.. في الجمعية الزراعية.. وقد منحته الدولة **50** فداناً لاستصلاحهم مادامت المياه تكفي وتزيد.. ما عليه إلا أن يدفع المياه في الصحراء الجرداء ويرمي من البذور أنواعاً شتى.. ما يثمر فليثمر وما لا يثمر لا يهم أن يثمر.. المهم أنه سيكون في الآخر راضياً بأقل مجهود وأكبر نتيجة.. دفعني هذا لأحاول أن أفهم..

ما دام أبي لا يتذكر شيئاً أيضاً فهذا يعني أن جدي لم تصبه أمراض الشيخوخة.. فأبي ما زال رجلاً كهلاً.. غير أنه ليس وحده الدليل على أن مالا أعرفه نتيجة نسيان بعض البشر فلقد بحثت وسألت أساتذتي..كل من قابلتهم..كيف تحول المصب إلى منبع.. لم أجد إجابة تشفي فضولي.

****

مجذوب كورونا

ربك يعطي الغطاء على قدر البرد
القناعة كنز لا يفنى
الرضا بالقليل
الفقراء يدخلون الجنة
يا بخت من بات مظلوم وما باتش ظالم
من بات مالكا قوت يومه ومعاف في بدنه وآمنا في سربه فقد ملك الدنيا بحذافيرها
الزهد هو أن تستغني عن الشيء رغم قدرتك على امتلاكه
خسارة الفقير عند الموت أقل من خسارة الغني عند الموت
سيملك قبراً وحده وغطاء وحده وتراب وحده وخلوة.. ولا أحد يسأله عن ديونه ولا يحمل هم الغداء والعشاء وكسوة الشتاء والصيف
إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة
إن خير من استأجرت القوي الأمين
يأخذ أجرة آخر الليل مدحاً وحناناً
ولا بد أن يكون شبعاناً ما دام طائعاً
ولا بد أن يكون محترماً ما دام قادراً

ولا بد أن يكون مهاناً ما إن تمرد على الحياء؛ فخدش بصوته حرمة السيد.. ولم يعطِ للخشوع حقه فآمن قبل أن يؤذن له

قانون العقوبات.. سرقة.. اختلاس.. رشوة.. إهمال جسيم.. تعدي على ممتلكات الدولة.. الأشخاص.. هيئة القضاء هي الصفة الثانية.. هي التي ترهب المنحرفين.. المتمردين.. القانون.. منفذيه من رجال الأمن.. هم القوة.. يا موسى خذ الكتاب بقوة.. سبحان من له الدوام. لقد مات رغم أن مناعته قوية.. قاوم المرض أسابيع وأسابيع.. وكانت أنفاسه على مقربة من الانقطاع.. وكان يصرخ ويستنجد.. إلا أن كونه في الثلاثين من عمره أدى إلى استثنائه من إجراءات العلاج.. فجهاز التنفس الصناعي يرقد عليه السيد المستشار **69** عام ولا بد أن يخرج من منصبه وهو حي يرزق.. محاولة فاشلة مات.. مات الاثنان.. لكن في الموت عزل من نوع آخر.. آخر المستجدات.. انهيار أسعار النفط في الولايات المتحدة الأمريكية.. هذا يعني أن الفقير سيدفع الفاتورة.. إن لم يكن مغامراً ويفوز بالذات.. ويبيع الضمير والأخلاق تتمرد.. ولا يرى أن ينام مظلوماً أفضل من أن ينام ظالماً.. قرر بعضهم أن يظلمني.. يسرقونني تباعاً.. وقلت محدثاً نفسي وأصدقائي: أنا لم أقل يا بخت من بات مظلوماً، كل ما في الأمر أن قلة الحيلة هي التي اضطرتني للرضا.. أقصد الرضوخ.. الاستسلام.. يعني يا إخوانا الفقراء يوم ما تتمردوا تطلعوا ثورتكم عليه.. أنا منكم يا إخوانا.. هو أنتم عميتم.. مش شايفين حالتي..

قرد يلحس في مؤخرة قرد يقول سنة دسيمة.. أنت يعني حتقدر تعمل إيه لما نسرقك أو نبتزك.. برشوة.. باختلاس نتقاسمه معك.. يعني أنت بإيدك إيه يا غلبان.. بس أنا عندي ضمير.. أفكر فقط.. لكي أراقب من بعيد لبعيد.. تقصد شيطان.. أنت إبليس.. وضربوني.. وسلبوا ملابسي فجريت حتى وصلت إلى شوارع لا يوجد بها إلا رجال الشرطة.. ظنوني وأنا أسير عارياً معتوهاً.. فاقد الأهلية.. وأنا لم يكن بإمكاني إلا أن أتقمص الجنون.. أسكت لأحمي جسدي من الإهانة.. فالإدانة تلك غير إدانة من نوع آخر.. فالجنون عمى.. والأعمى مرؤوف بحالته أما أن أكون عاقلاً فهذا تمرد.. هذا عبث. لذا قالوا لي يا مجنون.. فقلت: آه – أنا مجنون ها ها ها ها ها...مجنون! اتفووا عليكم وأخرجت أصواتاً مزعجة من فمي ومن بين فخذي وتبولت عليهم.. هكذا قال فني المعمل وهكذا قال الطبيب وجرى مني أمين الشرطة المرافق لي.. بعد أن أكد الطبيب أن التحاليل تؤكد أن هذا المعتوه القادم من الشارع لديه اشتباه بكورونا.. نسبة كرات الدم البيضاء منخفضة جداً وهذا يؤكد أن المريض النفسي مجهول الهوية مصاب بفيرس لكن غير مؤكد إن كان كورونا أم لا.. وأنا صامت.. ألغو.. ولا أحد يفهمني.. والحمد لله أن لا أحد يفهمني.. أضحك ولا أحد يلومني.. الحمد لله أن لا أحد يلومني.. أعطس والكل يجري والحمد لله أن الكل يجري.. ابعدوا عني يا ولاد الكلب.. يا جزم.. يا بقر.. يا حلاليف... والله العظيم حلاليف.. حال أمين الشرطة يصعب على الكافر وأنا مؤمن ولا يصعب عليّ..

يضحكني فقط. يثير داخلي رغبة في القيء.. حالة الحيرة والقلق على نفسه طالما هو مصاب أنا أيضاً مصاب.. أولادي. زوجتي..كيف أذهب إلى قسم الشرطة وأنام.. أنهي المهمة..كيف أعود إلى المنزل.. ودار حول نفسه وأصابه الكرب من كل مكان.. وكان يبكي من أجله البكاء.. لا دمعة سقطت ولا ملامحه أفصحت وهو رجل الشرطة القوي الأمين.. مسدسه لا يطلق الرصاص.. عدوه العدوى التي أصابته من المؤكد وهو يرافق هذا المجذوب العاري.. يلعن الأغبياء اللي عاملين نفسهم بيحبوا العمل وخدمة الوطن.. يعني لازم يجمعوا المعاتيه مجهولي الهوية.. دا كان نايم في الشارع على الرصيف في أمان الله.. يعني هي المستشفيات مكفية اللي فيها.. حرام عليكم.. خلي عندكم نظر.. هذا ما قاله الطبيب لأمين الشرطة وهو يقدم ورقة مكتوب فيها رأي مدير مستشفى النفسية وهكذا قرر أطباء العزل بعد اتصالات مكثفة مع رجال الشرطة ومع المسؤولين الكبار بوزارة الصحة أن يطلقوا حالاً سبيلي حراً طليقاً لا ألزم بيتي وهل مجهول الهوية له بيت؟! هكذا انتصرت وكسرت الحظر.. ما أصابني بالتعاسة لحظة رأيت فيها ابني وابنتي وأمهم بعد أن نادى أحدهم عليّ صائحاً: أبي.. ماما.. أبي قاعد على الرصيف عريان! أسلم عليه.. وكاد يهجم عليّ مشتاقاً.. معانقاً.. لولا أن جذبته اليد المرعوبة بقوة.. وكانت يد الأم هي التي سافرت بهما بعيداً عني.. وعن حيرتي.. أبنائي.. حريتي.. فقري.. جنوني.

جدار الخوف

ضاقت الدنيا في وجه عزمي.. وكاد أن يفتك بعصام.. غير أن عصام في نفس تلك اللحظة كاد أن يفتك بعزمي.. غير أنه قد رأى نفسه في ذكريات مرت عليه فأحزنته.. صارح ضميره.. فهزمت عزيمته على أن يكون البلطجي قاطع الطريق.. وأن يعود ولو من الآن فصاعداً إلى حياة مخلصة. للطاعة.. للخير.. للسلام.. ورأى في هذا العابر أنه من الممكن أن يستجوبه لربما وجد لديه فرصة حقيقية لمساعدة نفسه على هذا الداء المستمر غير أنه تعجب من نظرات عزمي.. تلك النظرات الشرسة.. حتى ظن عصام أن هذا العابر ليس هو القدوة الحسنة التي يجب أن يستعين بها على الهدى.. فقرر أن يشرع الخطو.. إلى حيث عابر آخر.. لم يظهر بعد.. هكذا مرت اللحظات بطيئة ومرعبة.. ظن عزمي أن هذا العابر يهابه.. دفعه هذا إلى أن يكون أكثر جرأة وحدة في النظر تجاه عصام.. بدأ له فريسة سهلة.. فلا أحد يعبر الشارع غيره.. ولا أحد يسير بنوع من الأمان مثله.. غير أنه كان يريد أن يحذره من نفسه، قائلاً: أظنك تحسبني رجلاً مسالماً.. لا يا أخي المسكين.. الفاضل.. لقد ضاقت بي الدنيا ولم أعد بحاجة إلى السلام.. وإن كنت بحاجة لشيء فهي غريزة الافتراس.. فإن هجت عليك الآن فلن أترك في حياتك نفساً داخلاً ولا نفساً خارجاً.. سأقتلك.. قبل أن يقتلني الضعف والمهانة..

فأنت فريستي الوحيدة.. بعدها أموت.. أو السجن أو أهرب إلى أعالي الجبال.. غير أنه كان من المتوقع صراعاً على الحياة.. منافسة بين بلطجي.. قاطع طريق تائب وشخص مسالم ثائر على أوضاع الحياة.. فأصبح يميل ميلاً عظيماً.. إلى أن ينحرف تماماً.. لذا فلم يكن باستطاعة المشهد أن ينتج صراعاً عظيماً.. لأن الخوف الكامن داخل عزمي منعه من إنجاز مهمة الانقضاض.. فالطائر الدواجن من الصعب أن يتحول صقر مفترس.. الأغنام ليست كالذئاب.. إن دافعت تكون الحياة بمعنى الموت من الألم هي الدافع للمقاومة.. فظل هارباً يؤجل لحظة الانقضاض.. ويحسب الخسائر فادحة تم بسيطة ممكنة.. وقال عزمي وهو يتأمل كاميرات المراقبة.. ضاحكاً على فكرته بأن يصير قاطعاً للطريق.. ولو لمرة واحدة.. إنه من الصعب التضحية بالحياة جملة وفي فرصة واحدة.. وعلى أن أتروى وأن تكون المغامرة من أجل تكرار النجاح.. واستقر ضميره على أن يؤجل الهدف.. وشرع في المشي السريع لكي تهرب الفكرة اللئيمة ولا تهيمن على مجريات سلوكه المنحرف.. الآن تحديداً وهو في لحظة ضعف كبيرة.. غير أنه أيضاً لم يكن يدرك أن فريسته متمكنة في شؤون الافتراس.. فكان من السخرية القدرية.. أن يهاجم خروف ذئباً وهو لا يمتلك أنياباً ولا مخالب.. بل لا يتقن سرعة الانقضاض.. الإمساك بالفريسة من الرقبة وخنقها حتى الموت.. ستكون الجريمة مقلوبة.. وعصام قاتلاً للمرة الأخيرة.. دفاعاً عن النفس.. مؤكد هذا ما كان سيحدث.. رغم أنه قتل قبل ذلك مئات المرات.. بريء.. ما دامت

الأدلة غير كافية.. أما عصام وقد كان على وشك أن يجبر عزمي على التوقف ليسأله سؤالاً واحداً.. وهو لا يعرفه.. كيف أصير صالحاً مثلكَ أو خروفاً.. أربي فروة من الصوف. وأكتنز زخائر المحبة والطيبة والسلام.. كيف يصير طعامي من حشائش الأرض.. خضرة وخبزاً ولا أشتهي اللحم.. فأنهي حياة البشر.. قل لي كيف أرضي الأرض عني فأصير زهراً ونبعاً وزقزقة وقلباً.. أشعر أنني بلا قلب.. بلا حتى قيمة.. وكاد أن يوقفه غير أنه خاف من ضعفه وارتباكته.. قال: لو أوقفته لصرخ.. استنجد بمن حوله فخرج لنجدته سكان العمارات.. أو أن كميناً متربصاً ينتظرني.. فصرت مجرماً بالمصادفة.. بالتلفيق.. وأنا لا أريد إلا أن أتوب توبة نصوحاً.. هكذا انتهى بسوء الظن.. لا.. أؤجل توبتي.. وذهب المشهد.. ولم يلتقِ الاثنان ثانية أبداً

****

الصوت الأخير

فرشت الأقدار ملاءتها؛ استدعتني؛ أمرتني بكل حدة؛ أجلستني على حجر الأسى؛ قسطاً من الحيرة؛ قفزت أحزاني قطار من الدموع؛ استشهدت بالحسرة؛ عجزت عن الصمت؛ فاندفعت طائراً من الأرض للماء؛ خرجت مستريحاً مسترخياً؛ أتمطى على فراش الأقدار؛ أنادي نفسي؛ أشرقي كما غربت؛ أبدعي كما لم تكوني إلا نمرة متكررة في فم مجرة مسجونة في أرواح البشر والجن وملائكة كل يوم وكل أرض؛ من الممكن أن تنفرج القسوة؛ ترد شغفها الشهواني؛ ماديتها الكئيبة؛ وها أنا وهي في معركة الحب؛ إما أخلصها من ملامحها السالبة من الأنفس أشواقها الطاهرة الصافية؛ ذلك حلمي؛ أو أن أنهك من كبوتي المتسلطة؛ حتى تذوب عزيمتي وتأخذ شكل مراقبة الآتي؛ تعتذر للقوي حتى وإن لم يكن ظالماً؛ يزيد التوقع؛ لا خير في القادم مهما يكن! كريماً؛ طيباً؛ أصيلاً؛ ذو فطرة صالحة للحياة.

زارني وعي مؤقت مؤدلج هُيئ لي عالم كاريكاتيريا؛ رسمت فيه النجاح سلام؛ والبقاء ملمح من ملامح مجدي؛ فطهرت غرائزي وأكدت ولائي ومررت على كل الأحداث فصنعت فأنجزت لها صورة غير صورتها؛ تكلمت غير كلامها؛ رصدت؛ صرخت؛ شتمت؛ بررت؛ وكنت أنا صوتها وصورتها ومؤيدها الأول؛ رسول معانيها ومعراج إيقاعها حتى تلاشى أي غضب..

ولم أجد في قلبي وجد صراع؛ ولا نور حيرة؛ بل صرت أسيراً مسلطاً على أسرى يحاولون الفكاك؛ ماهر في اصطياد العباد وأكل العتاب على باب هذا هو الحق.. هذا هو الجد.. هذا هو الحدث المنتظر والقدر المحتمل؛ فصرت أميراً ورداءي إماماً؛ ارتديت وقتاً ومكاناً وعشت براحاً أطير في الأرض بجناحين من موسيقى يتطاير إيقاعها ريشة.. ريشة وهزة.. هزة ورحلة.. رحلة ورقصة.. رقصة ودمعة.. دمعة؛ كنت حليفاً للمارد المنتقم بعدما أيدتني ملاحظات الوسوسة والضمور المتتالي في وعي قلبي بالحب والبشر؛ كنت عاجزاً بائساً.. لا تؤتمن مشاعري على فكرة ولا ضمير..كنت نسياً منسياً وسرطاناً في نشوة الضمير حين يتمنى ويتنهد إن رأى آية أثبتت لعينيه السمحتين أن الخير هو الأبقى والأكثر طلباً والأقدر على استنتاج الجمال واستخراج اللذة فهششت كما عيد لطفل يتلقى ضربة فقد ولا نظرة قهر.. ولا.. ولا.. و لا.. حتى الفرح له طعم غير الفرح.. نجاح المسن غير الشاب.. ابتسامة الطفل غير المسن.. حرمان الطفل غير حرمان الزاهد في المتاعب المنشقة من بطن اللذة.

هكذا تذكرت وأنا مضجع على فراش الأقدار.. أسترسل وأستنتج من سيرتي الذاتية.. توسلي في اختفاء تام من الحياة.. من شراسة غزوها ومكرها ومن فجاجة فجائعها.. فإذ بيد ليست إلا يد لم أتذكر إلا قوتها.. إصرارها على جري إلى مسرح الحدث. فكنت كما لم أكن من قبل.. جريئاً وواضحاً.. أتجلى كالنور على الظلام.. اندفع من نفسي إلى أنفس الآخرين بقوة أسد..

بحدة رمح.. أحضن ذاتهم كأنها ذاتي.. لم أكن أدرك أنها دفعتني إلى جحيمي.. كلما تركت معايشة حدث فيه أنفس ومقاييس تجارب.. أحمل في جسدي مصل ضد السعادة.. ألم لن تغفره الفطرة..كنت مؤكد أتلقى سم البصيرة.. لا عزاء للرحمة.. قاتل قتيل وجسد عليل ونفس مستوحشة تتمنى أن تجد براءة لتعكر صفوها.. هذا أنا وفقط وفي آخر الرحلة لن أجد أنا.. ولا أبكي الموت ..لا أبكي الفقد.. ولا للنسيان أرض.

****

محتويات الكتاب

إهداء.....5
سعادة..... 6
لمياء.....10
لمس.....17
تنهيدة على مخدة.....23
قياس عاطفي.....27
خبرٌ عاطفي.....31
تقاليد جائع.....40
اشتباه.....44
أرملة أخي.....48
الأجرة.....51
توفيق أوضاع.....56
موقعة سوق الخميس.....62
البريء.....67
التي شعرها أبيض وروحها بيضاء.....71
فتاة القرية.....75

الجارة.....79
حكاية جدتي فايزة.....85
الجريمة.....89
مقابل.....92
كان لي أهل.....95
كوابيس سمية.....98
الدجال.....101
الرجل والشجرة.....105
تفسير.....107
مجذوب كورونا.....111
جدار الخوف.....115
الصوت الأخير.....118
محتويات الكتاب.....121

تم بحمد اللّه

خبر عاطفي

مجموعة قصصية

محمود السانوسي عبادي

الطبعة الأولى
1442 هـ 2021 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد

جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com